نثر الورود

على حائية ابن أبي داود

تأليف
فضيلة الشيخ العلامة
زيد بن محمد بن هادي المدخلي

خرج أحاديثه وحققه
أسامة بن زيد بن محمد المدخلي
غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

الميراث النبوي
للنشر والتوزيع

٨ شوال ١٤٢٦ هـ الجمعة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي بفضله وإحسانه يتمّ كل عمل صالح مبرور، وصلى اللَّه وسلم وبارك على نبيّنا محمد وعلى آله وأصحابه الشموس والبدور.

أما بعد: فإن المحافظة على العلم الشرعي ووسائله ذات العلاقة به مطلبٌ شرعيّ، وإنَّ خير وسيلة لحفظه وبقائه ميراثًا غاليًا لأمة محمد ﷺ هي تدوينه وطبعه ونشره؛ ليكون نافعًا للقاصي والداني ممن أراد اللَّه بهم خيرًا، وإذ كان الأمر كذلك فإنَّ كثيرًا من طلبة العلم الأذكياء الأخيار الذين يقرؤون عليَّ بعض المتون يقومون بتسجيل تعليقاتي المختصرة لاسيّما فيما يتعلق بتصحيح الاعتقاد وتفنيد الأفكار الخاطئة والمحدثات المضلِّلة في هذا الزمن الذي تنوعت فيه الفتن، وكثُر مؤجّجوها في العالم الإنساني والإسلامي في السر والعلن، ومن ثَمَّ يقوم الطلّاب بتفريغ بعض المتون المشروحة وتسليمها لي للنظر فيها والإذن في طبعها ونشرها، ومن جملة المواد التي حظيت بهذا العمل القصيدةُ الحائية لابن أبي داود السجستاني - رحمه اللَّه تعالى - والتي اعتنى بإخراجها وتحقيق نصوصها الأستاذ: أسامة ابن زيد بن محمد المدخلي المتحصِّل على درجة ليسانس في العلوم الشرعية، وقد أذنت

له في طباعتها لتخرج من الرفِّ إلى الكفِّ، ولا يعيب الكتابَ صغرُ حجمه، فكم من درر توجد في النهر.

وها هي بين يدي محبّي العقيدة السلفية الصحيحة، لهم غُنمُها هنيئًا مريئًا، وعليّ غُرمُها الذي أرجو من الله أن يسامحني فيه؛ إذ ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

المؤلف

١٨/٢/١٤٢٧هـ

* * *

يقال يعد أول نظم في العقيدة

قال الإمام الحافظ المحدّث ابن أبي داود(١) رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قصيدته الموسومة بـ: «الحائية» ما نصّه:

تَمَسَّكْ بِحَبْلِ اللَّهِ وَاتَّبِعِ الْهُدَى ... وَلَا تَكُ بِدْعِيًّا لَعَلَّكَ تُفْلِحُ

وَدِنْ بِكِتَابِ اللَّهِ وَالسُّنَنِ الَّتِي ... أَتَتْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ تَنْجُو وَتَرْبَحُ

وَقُلْ غَيْرُ مَخْلُوقٍ كَلَامُ مَلِيْكِنَا ... بِذَلِكَ دَانَ الأَتْقِيَاءُ وَأَفْصَحُوا

وَلَا تَكُ فِي القُرْآنِ بِالْوَقْفِ قَائِلًا ... كَمَا قَالَ أَتْبَاعٌ لِجَهْمٍ وَأَسْجَحُوا

وَلَا تَقُلِ الْقُرْآنُ خَلْقًا قِرَاءَةً ... فَإِنَّ كَلَامَ اللَّهِ بِاللَّفْظِ يُوضَحُ

وَقُلْ يَتَجَلَّى اللَّهُ لِلخَلْقِ جَهْرَةً ... كَمَا الْبَدْرُ لَا يَخْفَى وَرَبُّكَ أَوْضَحُ

وَلَيْسَ بِمَوْلُودٍ وَلَيْسَ بِوَالِدٍ ... وَلَيْسَ لَهُ شِبْهٌ تَعَالَى الْمُسَبَّحُ

وَقَدْ يُنْكِرِ الْجَهْمِيُّ هَذَا وَعِنْدَنَا ... بِمِصْدَاقِ مَا قُلْنَا حَدِيْثٌ مُصَرِّحُ

رَوَاهُ جَرِيْرٌ عَنْ مَقَالِ مُحَمَّدٍ ... فَقُلْ مِثْلَ مَا قَدْ قَالَ فِي ذَاكَ تَنْجَحُ

وَقَدْ يُنْكِرُ الْجَهْمِيُّ أَيْضًا يَمِيْنَهُ ... وَكِلْتَا يَدَيْـهِ بِالْفَوَاضِلِ تَنْفَحُ

وَقُلْ يَنْزِلُ الْجَبَّارُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ ... بِلَا كَيْفٍ جَلَّ الْوَاحِدُ الْمُتَمَدِّحُ

إِلَى طَبَقِ الدُّنْيَا يَمُنُّ بِفَضْلِهِ ... فَتُفْرَجُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَتُفْتَحُ

يَقُوْلُ: أَلَا مُسْتَغْفِرٌ يَلْقَ غَافِرًا ... وَمُسْتَمْنِحٌ خَيْرًا وَرِزْقًا فَيُمْنَحُ

رَوَى ذَاكَ قَوْمٌ لَا يُرَدُّ حَدِيْثُهُمْ ... أَلَا خَابَ قَوْمٌ كَذَّبُوْهُمْ وَقُبِّحُوا

---

(١) هو الإمام أبو بكر عبدالله بن أبي داود السجستاني، إمام محدث سمع الحديث وهو صغير كان من أكابر الحفاظ ببغداد، عالمًا متفقًا عليه، إمام ابن إمام، شارك أباه في شيوخه بمصر والشام، وسمع ببغداد وخراسان وأصبهان وشيراز، ولد سنة ٢٣٠هـ، والده الإمام الحافظ المعروف بأبي داود صاحب السنن، وتوفي - رحمه الله تعالى وأسكنه فسيح جناته - سنة ٣١٦هـ. [انظر «عون المعبود» (١/ ٤)].

وَقُلْ إِنَّ خَيْرَ النَّاسِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ ... وَزِيْرَاهُ قُدْمًا ثُمَّ عُثْمَانُ الارْجَحُ
وَرَابِعُهُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ بَعْدَهُم ... عَلِيٌّ حَلِيْفُ الْخَيْرِ بِالْخَيْرِ مُنْجَحُ
وَإِنَّهُمُ لَلرَّهْطُ لَا رَيْبَ فِيْهِمُ ... عَلَى نُجُبِ الْفِرْدَوْسِ بِالْنُّوْرِ تَسْرَحُ
سَعِيْدٌ وَسَعْدٌ وَابْنُ عَوْفٍ وَطَلْحَةٌ ... وَعَامِرُ فِهْرٍ وَالْزُّبَيْرُ الْمُمَدَّحُ
وَقُلْ خَيْرَ قَوْلٍ فِي الْصَّحَابَةِ كُلِّهِمْ ... وَلَا تَكُ طَعَّانًا تَعِيْبُ وَتَجْرَحُ
فَقَدْ نَطَقَ الْوَحْيُ الْمُبِيْنُ بِفَضْلِهِم ... وَفِي الْفَتْحِ آيٌ فِي الْصَّحَابَةِ تَمْدَحُ
وَبِالْقَدَرِ الْمَقْدُوْرِ أَيْقِنْ فَإِنَّهُ ... دِعَامَةُ عَقْدِ الْدِّيْنِ وَالْدِّيْنُ أَفْيَحُ
وَلَا تُنْكِرَنْ جَهْلًا نَكِيْرًا وَمُنْكَرًا ... وَلَا الْحَوْضَ وَالْمِيْزَانَ إِنَّكَ تُنْصَحُ
وَقُلْ يُخْرِجُ اللَّه الْعَظِيْمُ بِفَضْلِهِ ... مِنَ النَّارِ أَجْسَادًا مِن الْفَحْمِ تُطْرَحُ
عَلَى النَّهْرِ فِي الْفِرْدَوْسِ تَحْيَا بِمَائِهِ ... كَحَبِّ حَمِيْلِ الْسَّيْلِ إِذْ جَاءَ يَطْفَحُ
وَإِنَّ رَسُولَ اللَّه لِلْخَلْقِ شَافِعٌ ... وَإِنَّ عَذَابَ الْقَبْرِ بِالْحَقِّ مُوضَحُ
وَلَا تُكَفِّرَنْ أَهْلَ الصَّلَاةِ وَإِنْ عَصَوْا ... فَكُلُّهُمُ يَعْصِي وَذُو الْعَرْشِ يَصْفَحُ
وَلَا تَعْتَقِد رَأْيَ الْخَوَارِجِ إِنَّهُ ... مَقَالٌ لِمَن يَهْوَاهُ يُرْدِي وَيَفْضَحُ
وَلَا تَكُ مُرْجِيًّا لَعُوْبًا بِدِيْنِهِ ... أَلَا إِنَّمَا الْمُرْجِيُّ بِالْدِّيْنِ يَمْزَحُ
وَقُلْ إِنَّمَا الإِيْمَانُ قَوْلٌ وَنِيَّةٌ ... وَفِعْلٌ عَلَى قَوْلِ الْنَّبِيِّ مُصَرَّحُ
وَيَنْقُصُ طَوْرًا بِالْمَعَاصِي وَتَارَةً ... بِطَاعَتِهِ يَنْمِي وَفِي الْوَزْنِ يَرْجَحُ
وَدَعْ عَنْكَ آرَاءَ الرِّجَالِ وَقَوْلَهَم ... فَقَوْلُ رَسُوْلُ اللَّه أَوْلَى وَأَشْرَحُ
وَلَا تَكُ مِن قَوْمٍ تَلْهُو بِدِيْنِهِمُ ... فَتَطْعَنَ فِي أَهْلِ الْحَدِيْثِ وَتَقْدَحُ
إِذَا مَا اعْتَقَدْتَ الْدَّهْر يَا صَاحِ هَذِهِ ... فَأَنْتَ عَلَى خَيْرٍ تَبِيْتُ وَتُصْبِحُ

* * *

تمهيد

الحمد لله رب العالمين وصلى اللَّه وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فهذه القصيدة في العقيدة الإسلامية - عقيدة أهل السنة والجماعة السائرين على نهج السلف[1] الصالح رضوان اللَّه عليهم

---

(١) هذا المصطلح «السلف» مرادفٌ للأسماء الشرعية الأخرى لأهل السنة والجماعة، وأن الدعوة إلى اتباع السلف أو الدعوة السلفية إنما هو دعوة إلى الإسلام الحق وإلى السنة المحضة، ودعوةٌ إلى العودة إلى الإسلام كما أُنزل على النبيّ ﷺ وتلقّاه عنه أصحابُه الكرام، حيث أصبح مدلول السلف ينطبق على من حافظ على سلامة العقيدة والمنهج طِبقًا لفهم الصحابة والقرون المفضلة. [«فكر التكفير قديمًا وحديثًا» (ص٢٥) للدكتور عبدالسلام ابن سالم السحيمي».

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية بعد كلامه على بعض المعتقدات الفاسدة قال: «...وهذه الأمور كلُّها إذا تدبّرها المؤمن بعقله تبيّن له أن مذهب السلف هو المذهب الحق الذي لا عدول عنه، وأن من خالفهم لزمه فسادٌ معلوم بصريح المعقول وصحيح المنقول» اهـ [«مجموع الفتاوى» (٧/ ٥٨٥).

ويقول أيضًا رحمه الله: «لا عيب على من أظهر مذهب السلف وانتسب إليه أو اعتزى إليه، بل يجب قبول ذلك منه بالاتّفاق؛ فإنّ مذهب السلف لا يكون إلا حقًّا» [المصدر السابق (٤/ ١٤٩)]. ويقول شيخنا حفظه اللَّه صاحب هذا الشرح في تعريف السلف الصالح في كتابه: «قطوف من نعوت السلف ومميزات منهجهم في أبواب العلم والعمل» (ص٧) ما نصه: «والسلف هم: أصحاب رسول اللَّه ﷺ الذين حضروا عصره وأخذوا منه هذا الدين القويم مباشرة غضًّا طريًّا؛ علمًا وعملًا وخلقًا وسلوكًا، ويلحق بهم في استحقاق هذا اللقب العظيم والوصف الجليل الكريم كلّ من اقتدى بهم رضي الله عنهم ونوّر مراقدهم ولو كان في عصرنا هذا أو قبله أو بعده إلى يوم الدين.

ويقول حفظه اللَّه في المصدر نفسه (ص٧): «وعلى هذا الفهم الحق اجتمعت كلمةُ أهل=

ورحمته – للإمام ابن أبي داود رَحِمَهُ ٱللَّهُ، هو إمام، وأبوه إمام؛ أبوه صاحب السُّنن وهو من تلامذة أبيه، وله مصنفات نافعة ومفيدة، وهو من علماء السلف حقًّا ومن أتباعهم صدقًا، والدليل على أنه من علماء السلف مصنّفاتُه التي منها هذه القصيدة في تصحيح الاعتقاد، وعادة العلماء الأجلاء – القدامى والمعاصرين – أنهم يفصحون عن معتقدهم بالمؤلّفات المنظومة والمنثورة؛ إمّا استقلالًا وإما ضمن مباحث الفقه الإسلامي الذي من مباحثه بالدرجة الأولى مبحث تصحيح الاعتقاد، والتحذير مما يضادّه من ضروب الشرك والبدع، ومن خلال ذلك يعرف معتقد العالم فيرغب الناس في الأخذ عنه والتتلمذ على كتبه، وهكذا في باب علوم الشريعة؛ من شعائر، ومعاملات، ومنهج دعوة إلى الله، وجهاد شرعي، وسلوك وأدب معهما حُسنُ خُلُق نقيّ من شوائب التصنّع والرياء، إلى غير ذلك من العلوم الشرعية التي هي الدين، فجاءت هذه القصيدة لابن أبي داود الذي هو من علماء القرن الثالث فيها بيان اعتقاده حيث ابتدأها بقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ن: تَمَسَّكْ بِحَبْلِ اللهِ وَاتَّبِعِ الْهُدَى   وَلَا تَكُ بِدْعِيًّا لَعَلَّكَ تُفْلِحُ

أقول: وهذه من ميزات علماء السلف؛ لأنهم ينطلقون في مؤلفاتهم – المنظومة والمنثورة – من نصوص الكتاب والسنة، فأمر صاحب القصيدة بالتمسّك بحبل الله واتباع الهدى؛ دلّت على ذلك آيات قرآنية وأحاديث نبوية وآثار عن علماء السلف لا تدخل تحت

= العلم وصرّحوا أن من عداهم ممن خالفهم باسم أو رسم أو عمل فإنه ليس منهم وإن عاش بينهم وعاصرهم في أيام حياتهم» اهـ.

الحصر في مقامٍ كهذا.

فمعنى قول المؤلف: «تمسّك» أي: اعلم واعمل وعلّم ودُم على ذلك ابتغاء مرضاة الله، وابتغاء نيل الأجر والثواب منه عَزَّوَجَلَّ، و«حبل الله» هو: دين الله الذي جاء به كتاب الله عَزَّوَجَلَّ وسنة نبيّه ﷺ، وهو كما أسلفت انطلاقٌ من آيات قرآنية؛ ومنها قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

فقوله: «تمسك بحبل الله» هو: نتيجة ما فهمه من قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ أي: اعتصموا بدين الله، أي بالعمل بالقرآن وبسنة من أنزل عليه الفرقان، كما أمر الله عَزَّوَجَلَّ وكما أمر رسوله – عليه الصلاة والسلام –، والاعتصام بحبل الله الذي هو التمسك بدينه لا يتم لذكر ولا لأنثى حتى يعلم دين الله، ولا يمكن أن يعلم المرء دين الله إلا إذا تعلّم؛ فإنّ الجاهل مهما رأى نفسه أنه متمسّك بحبل الله وهو فاقد الصواب فعمله مردود عليه؛ إذ لا يقبل الله عَزَّوَجَلَّ من مكلَّف من عالم الإنس والجن عملًا إلا إذا اجتمع فيه شرطان:

الشرط الأول: الصواب ومعناه: متابعة النبيّ ﷺ في أقواله وأفعاله وجميع ما جاء به ظاهرًا وباطنًا، والدليل على ذلك قول الله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الحشر: ٧].

والشرط الثاني: الإخلاص، أي: الإخلاص في العمل؛ وهو أن

يبتغي العامل من وراء عمله وجه اللّه والدار الآخرة، قال اللّه تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠]، فإذا اختلّ شرط من هذين الشرطين فإن العمل[1] لا يقبل، والجاهل فاقد الصواب؛ فلا يقبل عمله حتى يتعلّم، ولا يمكن أن يتمسك بحبل اللّه حتى يكون ذا علم شرعي، فالعلم إمام العمل والعمل تابعٌ له، لذا قال اللّه ﷻ مخاطبًا نبيه ﷺ وأمته تبعٌ له في الخطاب: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ [محمد: ١٩] فأمر اللّه ﷻ نبيه أن يعلم أولًا ثمّ يعمل، فجاء الأمر بالعلم مقدّمًا على العمل، وهكذا قول اللّه ﷻ في أول آيات أنزلها على النبيّ ﷺ أمره فيها بالعلم كما في قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١] قبل أن يأمره بشيء من العبادات العملية أو الاعتقادية بل أمره أن يقرأ إذ قال له: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ إلى قوله: ﴿عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ ثم فتر الوحي حتى أنزل اللّه ﷻ صدر سورة المدثر: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ [المدثر: ١ - ٧]، وانطلق النبيّ الكريم - عليه الصلاة والسلام - لإنذار الناس وتبليغ الرسالة المشتملة على البشارة

(١) يقول الإمام الفضيل بن عياض رَحِمَهُ اللَّهُ: «أحسن عملًا أخلصه وأصوبه»، وقال: «العمل لا يقبل حتى يكون خالصًا صوابًا، الخالص: إذا كان لله والصواب: إذا كان على السنة» [رواه أبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٩٥)] وذكر هذا القول ابن تيمية في «فتاواه» (١/ ٣٣٣) وكذلك ابن القيم في كتابه «مدارج السالكين» (١/ ٨٣).

والنذارة؛ البشارة للمؤمنين المطيعين المتّبعين شرع نبيهم الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم بأن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار وفوق ذلك رضا اللّه -تبارك وتعالى- ورؤيته، والنذارة للعصاة وللكافرين المعرضين عما جاء به النبيّ ﷺ مما فيه الحياة الطيّبة المباركة، ألا وهو الكتاب الكريم والسنة المطهّرة علمًا وعملًا ظاهرًا وباطنًا.

وإذ كان الأمر كما علمت فالجمع بين العلم والعمل هو منهج المنعم عليهم؛ الذين أمرنا اللّه - تبارك وتعالى - أن نسأله أن يسلك بنا سبيلهم في أعظم سورة أنزلها اللّه ﷻ، وأوجب قراءتها في كلّ ركعة من صلواتنا فرائضِ ونوافل ألا وهي ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]؛ حيث ختمت بقوله ﷻ: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾... الآيات، وفسّر هذا الإجمال في قول اللّه ﷻ: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩]

فهؤلاء الأصناف الأربعة هم أولياء اللّه ولا يدخل معهم غيرهم: «النبيون»: الذين هم صفوة الخلق - عليهم الصلاة والسلام -، و«الصديقون»: الذين صدّقوا بما جاءت به رسل اللّه عن اللّه - تبارك وتعالى -، و«الشهداء»: الذين ثبتت لهم الشهادة بنصوص الشرع ممن قتل في معارك القتال مع أعداء اللّه وهو مقبل غير مدبر، وممن كتبت له الشهادة وإن لم يقتل في المعارك، و«الصالحون»: من باب عطف العام على الخاص، وهم كل عبد صالح من عالم الإنس والجن من ذكر

وأنثى، ولا يكون العبد صالحًا إلا إذا جمع بين العلم والعمل، وأما من علم ولم يعمل فقد تشبّه بالمغضوب عليهم وهم اليهود الذين أنزل الله عليهم الكتب التي فيها هدىً ونورٌ كالتوراة والإنجيل وصحف إبراهيم وموسى، فغيّروا وبدّلوا وحرّفوا واستهزؤوا، بل وقتلوا المرسلين بعد أن علموا؛ فغضب الله عليهم ولعنهم ومسخ بعضهم قردة وخنازير؛ وهو عذاب أدنى، والعذاب الأكبر يوم يقوم الأشهاد قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ [غافر: ٥٢] يقدُمهم - والعياذ بالله - اليهودُ الذين أكرمهم الله بإرسال الرسل المتتابعة وإنزال الكتب، وأكرمهم بالخير الأخروي والدنيوي، فحرّفوا وبدّلوا وغيّروا وعصوا الله ﷻ وكذّبوا رسله، بل وقتلوهم كما قصّ الله خبرهم في القرآن الكريم، فمن تشبّه بهم من هذه الأمة أي: علم ولم يعمل استحقّ من العذاب نصيبه بقدر ما جنى لقول الله تعالى: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩]، وقوله ﷻ: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [النساء: ١٢٣] وقوله - تبارك وتعالى -: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧ - ٨].

ومن عمل من دون علم بل على جهل من هذه الأمة فقد تشبّه بالنصارى؛ الذين تركوا الكتاب الذي أنزله الله واشتغلوا بملذّاتهم وشهواتهم واتبعوا الهوى وصارت عبادتهم ضائعة هباءً منثورًا؛ كما قال الله تعالى عن الكافرين - وهم منهم -: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣] أي: لا يقيم الله لهم وزنًا وإن تعبّدوا بأنواع من القُرُبات، سواءً يوم بعثة النبيّ ﷺ وفي أيام حياته أو بعد

مماته وإلى يومنا هذا وإلى يوم القيامة، كلّ من عبد الله بجهل وعبد الله بغير رسالة محمد من اليهود والنصارى فهو من أهل الضلال، وإن مات على ذلك فهو من أهل النار، وما ذلك إلا لأنه كفر بآخر رسول وأعظم رسول أرسله الله ﷻ، وكتب الله ﷻ أن تكون رسالته عامة شاملة لا يسع أحدًا الخروجُ عنها أبدًا كما قال الله ﷻ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وكلمة الناس تشمل جميع الأناسيّ من المسلمين واليهود والنصارى والمجوس والوثنيين وغيرهم من ملل الكفر وطوائفها جميعًا، وفي الحديث يقول النبيّ ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ يَهُودِيٌّ أَوْ نَصْرَانِيٌّ ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي جِئْتُ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ**»[1]، فمن يدّعي بأنه على دين اليهودية أو النصرانية ولم يؤمن برسالة النبيّ ﷺ فهو كاذب في دعواه، ودعواه لا تنفعه ولو عبد الله ليلًا ونهارًا، فلا حظّ له في رحمة الله إذا مات ولم يؤمن بما بعث به النبيّ ﷺ، وما يقال من الدعوة إلى وحدة الأديان واجتماع الأديان جنبًا إلى جنب في محاربة الإلحاد فهو كلام باطل وردّة عن الإسلام، بل الإسلام وحده هو الذي يحارب الباطل ويردّه ويجاهد المبطلين ويأمر بجهادهم، لا اليهودية المحرّفة ولا النصرانية المحرّفة.

---

(١) رواه مسلم في كتاب الإيمان باب وجوب الإيمان برسالة نبينا ﷺ إلى جميع الناس ونسخ الملل بملّته [١/ ١٣٤ (٢٤٠)].

ورحم اللَّه القائل: «من فسد من علمائنا ففيه شَبَهٌ من اليهود، ومن فسد من عُبّادنا ففيه شَبَهٌ من النصارى»[١]، وفي الحديث: «وَمَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»[٢] أي: هو منهم فيما تشبّه بهم فيه، سواء في شرك أو في بدع مضلة أو غير ذلك مما هو من أفعال الضالين، وإذا كان الأمر كما علمت فإنّ «المنعم عليهم» هم: الذين تمسكوا بحبل اللَّه الذي بدأ المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ بالأمر به إذ قال: «تمسك بحبل اللَّه واتبع الهدى»، وقوله: «واتبع الهدى»: منتزع من قول اللَّه عَزَّ وَجَلَّ ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣]، فقد أمر اللَّه عَزَّ وَجَلَّ باتباع الهدى واتباع دين الحق، فالهدى: هو العلم النافع، ودين الحق هو: العمل الصالح، والجمع بين العلم النافع والعمل الصالح طريق المنعم عليهم كما مضى، وقد قسّم العلماء العلم إلى أقسام:

(١) ذكره ابن تيمية في كتابه: «اقتضاء الصراط المستقيم» عن سفيان بن عيينة (١/ ٦٧).

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب اللباس [٤/ ٤٣ (٤٠٣١)] وهذا لفظه، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده(٢/ ٥٠و٩٢)، وعبد بن حميد في مسنده- المنتخب- برقم (٨٤٦) وابن أبي شيبة في المصنف: (٥ / ٣١٣)، والطحاوي في مشكل الآثار: (١/ ٨٨)، والطبراني في الكبير كما في مجمع الزوائد: (٥ / ٢٦٧)، وابن حذلم في حديث الأوزاعي برقم (٣٠)؛ عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «بعثت بالسيف حتى يعبد اللَّه وحده لا شريك له، وجعل رزقي تحت ظلّ رمحي، وجُعل الذلّ والصغار على من خالف أمري ومن تشبه بقوم فهو منهم» وصححه الألباني في صحيح الجامع: [١/ ٥٥٤(٢٨٣١)]. قال شيخ الإسلام ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٢٣٦- العقل): وهذا - أي إسناد أبي داود - إسناد جيد... وقد احتج الإمام أحمد وغيره بهذا الحديث. وصححه ابن حبان كما في بلوغ المرام: (ص٣٠١). وقال الحافظ في فتح الباري: (١٠/ ٢٧١): أخرجه أبو داود بسند حسن. وصحّح الألباني الحديث في الإرواء (٥ / ١٠٩) برقم. ٢٦٩١

أ - **علم ممدوح ومثاب عليه صاحبه**: وهو العلم بشرع اللَّه عَزَّ وَجَلَّ والعمل به جملةً وتفصيلًا، هذا العلم جاءت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية بالثناء عليه وعلى حامليه في آيات متعدّدات؛ منها قول اللَّه - تبارك وتعالى -: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر: ٢٨] ومنها قوله الحق: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩] والجواب: لا يستويان، ومنها قول اللَّه - تبارك وتعالى -: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ﴾ [الرعد: ١٩] فالعالم مُبصر والجاهل بمنزلة الأعمى الذي لا يبصر الطريق الحسّيّ، والجاهل لا يبصر الطريق المعنوي التي تفضي بسالكها إلى رضا اللَّه ودار كرامته، وهذه الآيات الكريمات فيها مدح للعلم والعلماء وفيها ذم للجهل والجاهلين.

ب - **وقسم من العلم الشرعي هو**: خيرٌ في ذاته وممدوحٌ في ذاته وشرٌّ على حامله الذي لا يعمل به، وهذا يدلّ عليه قول النبيّ ﷺ: «وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ»[١]، ويدلّ عليه قوله - عليه الصلاة والسلام -: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عِلْمًا نَافِعًا»[٢] والمفهوم: أن العلم الذي لا ينفع يُستعاذ باللَّه منه

(١) جملة من حديث صحيح أخرجه مسلم: في كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب التَّعَوُّذِ مِنْ شَرِّ مَا عَمِلَ وَمِنْ شَرِّ مَا لَمْ يَعْمَلْ، برقم (٢٧٢٢)(٧٣) عن زيد بن أرقم ت، وأخرجه أصحاب السنن عن غيره من الصحابة.

(٢) أخرجه ابن ماجة في كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها: باب ما يقال بعد السلام، حديث رقم(٩٢٥)، عن أم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن النبيّ ﷺ كان يقول إذا صلّى الصبح حين يسلّم: «اللهمّ إنّي أسألك علمًا نافعًا ورزقًا طيّبًا وعملًا متقبّلًا»، وانظر صحيح ابن ماجه (١/ ١٥٢).

لأنه شرٌّ على صاحبه وهو خيرٌ في ذاته .

ج – وقسم مذموم هو وأهله وهو : العلم الذي هو شر محض ؛ كعلم السحر والكهانة وعلم الشعوذة على اختلاف أنواعها والعلم الذي ادعاه المشركون لأنفسهم ، وهذه العلوم دلّ على شرها وشؤمها كتاب الله ﷻ وسنة النبيّ ﷺ ؛ قال الله ﷻ في شأن السحر : ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠٢] وقال الله ﷻ في علم الكفار الذي كانوا يتطاولون به : ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾ أي : بأن آباءهم كانوا على حق وصواب ، وأنهم لا يمكن أن يتخلّوا عن طرائقهم وما كانوا عليه قال تعالى : ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [غافر : ٨٣] ، . فقول المؤلف : «واتّبع الهدى» منتزعٌ من قول الله : ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة : ٣٣] إذ المراد بالهدى : العلم النافع ، ودين الحق : هو العمل الصالح ظاهرًا وباطنًا أقوالًا وأفعالًا ، ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ أي : على كل دين يخالفه من اليهودية والنصرانية والوثنية وغيرها من النحل الباطلة .

فدين الإسلام هو الدين الحق الذي يعلو ولا يعلى عليه ، والذي يجب أن يأخذ به العباد ويتمسّكوا به كما أمرهم الله تبارك وتعالى ودعاهم إليه رسوله – عليه الصلاة والسلام – ؛ كما في قوله ﷻ : ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ ومن لم يعتصم بحبل الله – تبارك وتعالى – فقد ضلّ ضلالًا بعيدًا بانتمائه إلى فرق الباطل الذين فرّقوا دينهم وكانوا شيعًا ، أو من أهل البدع والضلال الذين عدلوا عن منهج المنعَم عليهم

من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، والله أعلم .

*** الأسئلة :**

(س١) : أحسن الله إليكم فضيلة الشيخ هذا سائل يقول : عندنا في بلاد الكفر بعض الدعاة يقولون : من قال بأن الإرهاب ليس من الإسلام فهذا كفر أكبر فهل هذا صحيح أم لا ؟

الجواب : الحقيقة صغار طلبة العلم لا سيّما في بلاد الكفر لا يجوز لهم أن يخوضوا في المسائل التي لا علم لهم بها ، فقضية الإرهاب ليس عملًا واحدًا بل هو أعمال عنف وترويع وبغي وعدوان متعددة ، إرهاب بالتكفير ، وإرهاب بالتقتيل ، وإرهاب بالخروج على ولاة الأمور ، وإرهاب لفرد من الأفراد ؛ فلا يطلق الحكم حكمًا واحدًا مع اليقين وإجماع علماء المسلمين أن الإرهاب بدون حقّ وبدون مستند يستند إليه فاعلُه من كتاب أوسنة أنه إجرام وإفساد في الأرض .

والشيء يذكر بنظيره ؛ فإنّ ما قامت به الفئة الضالة في هذه البلاد المسلمة المملكة العربية السعودية – حرسها الله – ذات الحكام المسلمين والعلماء المسلمين والأمة المسلمة من ذكر وأنثى ضلالٌ مبين وفساد في الأرض مشين . نعم إنّ ما قامت به الفئة الضالة الطاغية الحاقدة من تكفير وتقتيل للمسلمين الصغار والكبار والذكر والأنثى وللمستأمنين والموجودين في البلاد من الكفار المقيمين بإذن إمام المسلمين هؤلاء أهل طغيان ، وحقًا أن من كفّر المسلمين بدون برهان كما فعلت هذه الفئة الضالة ومن أفتاها من المتعالمين بالتكفير والتقتيل فقد باء بالكفر ،

والحمد لله علماء المسلمين وحكام المسلمين والمسلمين في هذه البلاد وغيرها لا يجوز لأحد أن يطلق عليهم أنهم كفارٌ.

وقصارى القول فإنّ هذه الفئة الضالة قد ضلّت عن سواء السبيل، وخابوا وخسروا في كل مقام من المقامات التي انطلقوا منها، فهم في حكم الشرع قرنٌ من الخوارج الجدد، بل زادوا على الخوارج الذين ظهروا في عهد الصحابة بقتلهم لأنفسهم وتعميم القتل، بينما الخوارج القدامى ما كانوا يقتلون أنفسهم في عهد الصحابة، بل كانوا يقاتلون وما كانوا يقتلون عامة الناس، بل برزوا فقاتلوا، وهو إجرام وفساد أخبر به النبيّ ﷺ قبل حصوله - وكان من معجزاته- بوصفه لهم بأوصاف متعدّدة منها: أنهم «كلاب النار»[(١)]، وأما هؤلاء الخوارج الجدد؛ فإنهم زادوا في الإجرام على الخوارج القدامى كما أسلفت، فهم إرهابيون وخابوا في كل معركة، وباؤوا بإثم من قتلوه من طفل صغير، وشيخ كبير، وعاجز ضعيف، ومستأمن احترم الشرعُ دمه وعرضه وماله، ودولة مسلمة تحكم شرع لله، وأمّنت البلاد والعباد من خوف وفزع من اعتداءاتهم الإجرامية، ولقد قال النبيّ ﷺ في حقّهم: «كلاب النار»[(٢)]، ولشدة إجرامهم فقد قال النبيّ عليه الصلاة والسلام:

(١) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» [(٤/ ٣٨٢)] وابن ماجة في «سننه» [المقدمة باب في ذكر الخوارج برقم (١٧٣)] كلاهما عن ابن أبي أوفى ﷺ، وهو جملة من حديث أخرجه ابن ماجة [برقم(١٧٦)] عن أبي أمامة ﷺ، ولفظها: (.. كِلَابُ أهلِ النَّارِ). وحديث «المسند» هو في «الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين» [(١/ ٤٦٧حديث رقم(٥٤٥)] للشيخ مقبل الوادعي.

(٢) التخريج السابق.

«طُوبَى لمَنْ قَتَلُوهُ وَطُوبَى لِمَنْ قَتَلَهُمْ»[(١)]، وقال ﷺ: «لَئِن لَقِيتُهُمْ لأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ»[(٢)] وفي رواية: «قتل ثمود»[(٣)]، وقال عليه الصلاة والسلام: «فَأَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ»[(٤)]، والحقيقة أنهم يستحقّون القتل ويستحقّون الدعاء عليهم، لهذا فقد أمرت وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد في المملكة العربية السعودية بالقنوت والدعاء على هذه الفئة الضالة التي ألحقت أضرارًا بالإسلام والمسلمين في جميع أقطار الأرض.

(١) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» [(٥٣٠٦)] عن ابن عمر ﷺ بلفظ: «فَطُوبَى لِمَنْ قَتَلَهُمْ وَطُوبَى لمَنْ قَتَلُوهُ» وأخرجه في «المسند» [(٤/ ٣٥٧)] من حديث عبد الله بن أبي أوفى ﷺ، وهو جملة من حديث أخرجه أبو داود في «سننه» [كتاب السنة باب في قتل الخوارج برقم (٤٧٦٥)] عن أبي سعيد الخدري وأنس بن مالك ﷺ، ولفظه: «طُوبَى لمَنْ قَتَلَهم وقتلوه»، وأورده الألباني في «صحيح الجامع» برقم (٣٦٦٨). وحديث ابن أبي أوفى الذي في «المسند» هو في «الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين» [(١/ ٤٦٨حديث رقم(٥٤٧)] للشيخ مقبل الوادعي.

(٢) جملة من حديث أخرجه البخاري في «صحيحه» [كتاب أحاديث الأنبياء باب قول الله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ..﴾ [الأعراف: ٦٥] رقم (٣٣٤٤)]، ومسلم في [«صحيحه»: في كتاب الزكاة، باب ذِكْرِ الْخَوَارِجِ وَصِفَاتِهِمْ، برقم (١٠٦٤) (١٤٣)]، من حديث أبي سعيد الخدري ت، بلفظ: «لَئِنْ [أَنَا] أَدْرَكْتُهُمْ لَأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ».

(٣) أخرجها البخاري في [«صحيحه» كتاب المغازي باب بعث علي بن أبي طالب ﷺ وخالد بن الوليد ﷺ إلى اليمن قبل حجة الوداع رقم (٤٣٥١)]، ومسلم في [«صحيحه»: في كتاب الزكاة، باب ذِكْرِ الْخَوَارِجِ وَصِفَاتِهِمْ، برقم (١٠٦٤) (١٤٤)(١٤٥)] من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ.

(٤) جملة من حديث أخرجه البخاري في [«صحيحه» كتاب استتابة المرتدين باب قتل الخوارج والملحدين بعد إقامة الحجة عليهم رقم (٦٩٣٠)] واللفظ له، ومسلم في [«صحيحه»: كتاب الزكاة، باب التحريض على قتل الخوارج، برقم (١٠٦٦) (١٥٤)]، من حديث علي ﷺ.

* وقول المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولا تكُ بدعيًّا» خطابٌ لكل مكلّف عمومًا ولطلّاب العلم خصوصًا، وذلك تحذير من المؤلف من الوقوع في البدع، والبدع جمع بدعة، والبدعة: هي الفعل أو الاعتقاد أو القول الذي لم يكن على عهد النبيّ ﷺ ولا على عهد خلفائه الراشدين المهديّين من بعده، واللَّه تبارك وتعالى أمر الأمة باتّباع ما جاء به النبيّ الكريم - عليه الصلاة والسلام - من الكتاب والسنة ونهاهم عن اتّباع غيرهما في آيات متعددات، منها قول اللَّه تبارك وتعالى: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٣]، والذي أُنزل إلينا من ربنا هو كتاب اللَّه الفرقان وسنة النبيّ ﷺ كما في هذه الآية وغيرها من الآيات، وكما في قول النبيّ ﷺ: «**أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ**»(١) وهي السنة، فالكتاب والسنة والإجماع مصادر التشريع، وحقيقة الإجماع: هو ما أجمع عليه من يعتد بإجماعهم من أئمة العلم في كل زمان ومكان، والقياس الجلي فرع المصادر الثلاثة: الكتاب والسنة والإجماع.

وبمناسبة ذكر البدعة في قول المؤلف: «ولا تك بدعيًّا» لا بد من

(١) قطعة من حديث نصه: قال رسول اللَّه ﷺ: «أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ، أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ، أَلَا يُوشِكُ رَجُلٌ يَنْثَنِي شَبْعَانًا عَلَى أَرِيكَتِهِ يَقُولُ: عَلَيْكُمْ بِالْقُرْآنِ فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَلَالٍ فَأَحِلُّوهُ وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ، أَلَا لَا يَحِلُّ لَكُمُ الْحِمَارُ الْأَهْلِيُّ، وَلَا كُلُّ ذِي نَابٍ مِنَ السِّبَاعِ، أَلَا وَلَا لُقَطَةٌ مِنْ مَالِ مُعَاهَدٍ إِلَّا أَنْ يَسْتَغْنِيَ عَنْهَا صَاحِبُهَا، وَمَنْ نَزَلَ بِقَوْمٍ فَعَلَيْهِمْ أَنْ يَقْرُوهُمْ، فَإِنْ لَمْ يَقْرُوهُمْ فَلَهُمْ أَنْ يُعْقِبُوهُمْ بِمِثْلِ قِرَاهُمْ» أخرجه أحمد في «المسند» (٤/ ١٣٠) واللفظ له، وأبو داود في «سننه»: في كتاب السنة، باب في لزوم السنة، برقم (٤٦٠٤)، عن المقدام بن معد يكرب الكندي رضي الله عنه. وأورده الألباني في صحيح الجامع برقم (٢٦٤٣).

فهم السنة ووجوب الالتزام بها.

إذًا فالسنة: ما ثبتت عن النبيّ ﷺ من قوله أو فعله أو تقريره سواء فيما يتعلق بالاعتقاد أو فيما يتعلق بالشعائر التعبدية أو فيما يتعلق بالمعاملات أو فيما يتعلق بشأن الدين كله جملةً وتفصيلًا، وحكم العمل بها: إما الوجوب وإما الاستحباب بحسب الخطاب التكليفي وهذا يعرف في مواضعه بمقتضى أدلته، ثم السنة من حيث علاقتها بالقرآن الكريم ثلاثة أنواع:

١ - نوع منها جاء موافقًا في الأحكام والحلال والحرام للقرآن الكريم: أي إذا جاء القرآن فيه الأمر بالصلاة أو الزكاة أو الحج أو نحو ذلك فقد جاءت السنة أيضًا بذلك كما قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٣] وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَإِذَا قَضَيۡتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمۡۚ فَإِذَا ٱطۡمَأۡنَنتُمۡ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا﴾ [النساء: ١٠٣]، وجاءت السنة أيضًا كذلك فقد قال ﷺ: «**بُنِيَ الإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ وَصَوْمِ رَمَضَانَ وَحَجِّ الْبَيْتِ لِمَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا**»(١) وقد خاب قوم زعموا أنهم مستغنون عن السنة، ومكتفون بالقرآن الكريم، ولا شك أن من قال ذلك

(١) رواه أحمد (٢/ ٢٦و٩٢و١٢٠)، والبخاري: كتاب الإيمان: باب قول النبيّ ﷺ: بني الإسلام على خمس؛ حديث رقم (٨) (ص٢٢)، و «صحيح مسلم» كتاب الإيمان: باب بيان أركان الإسلام ودعائمه العظام رقم (١٦)، والنسائي: كتاب الإيمان وشرائعه، باب على كم بُنِيَ الإسلام، رقم (٥٠٠١)، وسنن الترمذي: الإيمان: باب ما جاء بني الإسلام على خمس، رقم (٢٦٠٩) وغيرهم؛ كلهم عن ابن عمر رضي الله عنهما.

واعتقده فقد كذّب القرآن؛ ومن كذّب القرآن فقد كفر.

٢- ونوع منها جاء بأحكام مستقلّة: أي: لم تكن موجودة في القرآن العظيم وإن كان هذا النوع قليلًا، وكل من القرآن والسنة يشهد للآخر، فالقرآن يشهد للسنة ويأمر بالاعتصام بها، والسنة تأمر بالعناية بالقرآن الكريم، وأدلّة ذلك موضّحة في الكتاب والسنة، قال الله ﷻ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الحشر: ٧] ففي الآية دعوة من القرآن للأمة أن تأخذ بكل ما جاء به رسول الله ﷺ من الأحكام جملة وتفصيلًا؛ كل شيء في موضعه، والسنة جاءت تدعو إلى الأخذ بالقرآن الكريم كما في قول النبيّ ﷺ: «**اقْرَؤُوا الْقُرْآنَ؛ فَإِنَّهُ يَأْتِي شَفِيعًا لأَهْلِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»(١)، وقوله عليه الصلاة والسلام: «**اقْرَؤُوا الزَّهْرَاوَيْنِ الْبَقَرَةَ وَآلَ عِمْرَانَ فَإِنَّهُمَا يَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ أَوْ غَيَايَتَانِ أَوْ فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوافّ يُحاجَّانِ عَنْ صَاحِبِهِمَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ**» وقال ﷺ: «**اقْرَؤُوا الْبَقَرَةَ فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ وَلَا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ**» أي: السحرة، وفي حديث أعبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبيّ ﷺ أنه قال: «**يُقَالُ لِقَارِئِ الْقُرْآنِ: اقْرَأْ وَرَتِّلْ وَارْتَقِ** - أي: في غرف الجنة - **فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرَؤُهَا**»(٢)

(١) أخرجه مسلم [برقم (٨٠٤) في كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة] عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه. والحديثان الآتيان بعده هما بعض منه..

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ١٩٢)، وأبو داود في [«سننه»: كتاب الصلاة، باب اسْتِحْبَابِ التَّرْتِيلِ فِي الْقِرَاءَةِ، رقم (١٤٦٤)]، والترمذي في [«سننه»: كتاب فضائل القرآن، باب مَا جَاءَ فِيمَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ الْقُرْآنِ مَالَهُ مِنْ الأَجْرِ، رقم (٢٩١٤)]، والنسائي في الكبرى برقم (٨٠٥٦)، وابن حبان في صحيحه (٣/ ٤٣، رقم ٧٦٦)، والحاكم في المستدرك (١/ ٧٣٩، رقم ٢٠٣٠)،=

وغير ذلك كثير، وما ذلك إلّا لأنّ القرآن والسنة وحيان كريمان من عند الله؛ وإن كان للقرآن مزيّته وخصائصه التي لا يجهلها أهل العلم وللسنة فضلها، وهما عند أئمة العلم السائرين على نهج السلف من مشكاة واحدة من عند الله تبارك وتعالى كما هما في وجوب العمل سواء.

٣ - ونوع منها جاء إيضاحًا لما في القرآن الكريم من الأحكام المجملة: كالصلاة والزكاة والحج والصوم ونحوها.

ولشؤم البدعة وخطرها فقد وردت نصوص تحذّر منها؛ منها: ما سبق من الآيات الكريمات، ومن السنة قول النبيّ ﷺ في حديث عائشة: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**»(١) وفي رواية: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ**»(٢) أي: أمر الدين، وقول النبي ﷺ: «**وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ**»(٣)، وفي ذلك تحذير شديد من الوقوع في

= والبيهقي (٢/ ٥٣). وفيه قبل الجملة الأخيرة: «كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا». قال الترمذي: «حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ».

وأورده الشيخ مقبل الوادعي رحمه الله في [«الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين» (١/ ٦١٨) (٧٩٢)]..

(١) أخرجه البخاري معلّقًا: كتاب الاعتصام، باب إِذَا اجْتَهَدَ الْعَامِلُ أَوِ الْحَاكِمُ فَأَخْطَأَ خِلَافَ الرَّسُولِ مِنْ غَيْرِ عِلْمٍ؛ فَحُكْمُهُ مَرْدُودٌ. وأخرجه مسلم: في كتاب الأقضية، باب نَقْضِ الأَحْكَامِ الْبَاطِلَةِ وَرَدِّ مُحْدَثَاتِ الأُمُورِ، رقم (١٧١٨) (١٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) أخرجه البخاري: في كتاب الصلح، باب إِذَا اصْطَلَحُوا عَلَى صُلْحِ جَوْرٍ فَالصُّلْحُ مَرْدُودٌ، رقم (٢٦٩٧)، ومسلم: في كتاب الأقضية، باب نَقْضِ الأَحْكَامِ الْبَاطِلَةِ وَرَدِّ مُحْدَثَاتِ الأُمُورِ، (١٧١٨) (١٧)، من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) أخرجه أحمد في «المسند» (٤/ ١٢٦) وأبو داود في «السنن»: السنة، باب في لزوم السنة، رقم (٤٦٠٧)، وابن ماجه في «السنن»: المقدمة، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين، رقم (٤٢)، والترمذي في «الجامع»: كتاب العلم، بَاب مَا جَاءَ فِي الأَخْذِ=

البدع، وما ذلك إلا لشؤمها وكثرة شرّها وخطرها على الناس؛ إذ كل زمان تنجُم فيه بدع وضلالات، وقد بدأت من عصر الصحابة فقد ظهرت بدعة الخوارج[1] وامتدت إلى يومنا هذا وإلى ما شاء الله من الزمان في المستقبل، وهم شرّ الفرق المبتدعة التي جرّت الأذى للمسلمين وأوجدت الفُرقة بينهم، فقد استحلّ الخوارج الدماء وكفّروا المسلمين، وفي عصر الصحابة كفّروا أفاضل المسلمين الذين شهد لبعضهم النبيّ ﷺ بالجنة وعلى رأسهم علي بن أبي طالب ﵁، وحذت حذوهم وورثت جُرمهم الفئة الضالة في هذا الزمان؛ الذين تجمّعوا وخطّطوا تخطيطًا شيطانيًّا فكفّروا المسلمين وعلى رأسهم العلماء والحكام، واستحلّوا الدماء المحرّمة المعصومة، وأخافوا السبيل، بل وأخافوا المدن والقرى في بلاد الحرمين وغيرها من بلدان العالم، وسلف هذه الفئة الضالة هم الذين خرجوا على عليّ بن

= بِالسُّنَّةِ وَاجْتِنَابِ الْبِدَعِ، رقم (٢٦٧٦) وقال: «حديث حسن صحيح»، والدارمي في «سننه»: المقدمة، باب اتباع السنة، رقم (٩٥)، وابن حبان في صحيحه (١٠٢ - الموارد)، والحاكم في المستدرك (١/ ١٧٤-١٧٧) وصححه. جميعًا من حديث العرباض بن سارية ﵁. وأورده الألباني في «صحيح الجامع» برقم (٢٥٤٩).

(١) الخوارج فرقة كبيرة من الفرق الاعتقادية وتمثل حركة ثورية عنيفة في تاريخ الإسلام السياسي، وهي منتشرة انتشارًا عظيمًا على بقاع واسعة من الدولة الإسلامية في المشرق وفي المغرب العربي، ولها أسماء كثيرة؛ من أهمها: (الخوارج - الحرورية - الشراة - المارقة - المحكّمة - النواصب)، وهي فرق متعددة من أكبرها فرقة الإباضية، وقد عرَّفها الشهرستاني في «الملل والنحل» (١/ ١١٤): «بأن كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجيًا سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين أو كان بعدهم على التابعين بإحسان والأئمة في كل زمان». [راجع «فرق معاصرة» غالب بن علي عواجي (١/ ٦٣)].

أبي طالب وبرز لهم هو ومن معه من أصحاب النبيّ ﷺ ونصرهم الله عليهم، فما هي إلا ساعات إلا وقد قضي عليهم، وأراح الله حينذاك المسلمين من شرّهم، وكانوا قبل ذلك خرجوا على الفاروق فقتلوه وجماعةً معه، وخرجوا على الخليفة الثالث عثمان بن عفّان ﵁ فقتلوه؛ والقصة معروفة شهيرة كالشمس في وقت الظهيرة، قاتلهم الله أنّى يؤفكون، ثم خرجوا بعد ذلك في الدولة الأُموية، ثم في الدولة العباسية وبعدها، لكن شأنهم كما قال النبيّ ﷺ: «**كُلَّمَا طَلَعَ قَرْنٌ قَطَعَهُ اللهُ**»[1] أي: كلّمَا طلع قرن من الخوارج قطعه الله على أيدي من شاء من

---

(١) قطعة من حديث أخرجه الإمام أحمد (٢/ ٨٤) وابن عساكر في تاريخ دمشق (١/ ١٦١-١٦٢) عن ابن عمر ﵄.

قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/ ٢٤٢): «رواه أحمد، وفيه أبو جناب وهو مدلس».

وأخرجه ابن ماجه في [«سننه» المقدمة، باب في ذكر الخوارج، رقم (١٧٤)] عن هشام بن عمار، وابن عساكر في تاريخه (١/ ١٦٢، ١٦٣) من طريق أبي النضر إسحاق بن إبراهيم بن يزيد وهشام بن عمار الدمشقيان قالا: نا يحيى بن حمزة نا الأوزاعي عن نافع، وقال أبو النضر: عن من حدثه عن نافع عن ابن عمر عن النبيّ ﷺ به.

قال الحافظ ابن كثير ﵀: «غريب من حديث نافع. والظاهر أن الأوزاعي قد رواه عن شيخ له من الضعفاء، والله أعلم. وروايته من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص أقرب إلى الحفظ.» تفسير القرآن العظيم (٦/ ٢٧٤).

قلت: حديث عبد الله بن عمرو ﵄ رواه معمر في الجامع (١١/ ٣٧٦- مصنف عبد الرزاق)، والطيالسي في مسنده (١/ ٣٠٢، رقم ٢٢٩٣)، ونعيم بن حماد في الفتن (١٥٠٦)، وأحمد في المسند (٢/ ١٩٨ و٢٠٩)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٥٣٣، برقم ٨٤٩٧)، وأبو نعيم في الحلية (٦/ ٥٣-٥٤)، والبغوي في شرح السنة (١٤/ ٢٠٨-٢١٠)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (١/ ١٦٠-١٦١) عن قتادة عن شهر بن حوشب عن عبد الله بن عمرو ﵄ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «يَخْرُجُ قَوْمٌ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ، يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ، لاَ يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، كُلَّمَا قُطِعَ قَرْنٌ نَشَأَ قَرْنٌ، حَتَّى يَخْرُجَ فِي بَقِيَّتِهِمُ الدَّجَّالُ». هذا لفظ أحمد. قال الحافظ ابن حجر في الفتح (١١/ ٣٨٠): «سنده لا بأس به». =

عباده، ولما قيل لعلي رضي الله عنه: «هنيئًا لك استأصلت شأفتهم» قال: «هم في أصلاب الرجال وأرحام النساء حتى يخرج آخرهم مع الدجال»[1].

= وقال البيهقي: «وَالْحَدِيثُ تَفَرَّدَ بِهِ شَهْرُ بْنُ حَوْشَبٍ رضي الله عنه، وَرُوِيَ مِنْ وَجْهٍ آخَرَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ ابْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما مَوْقُوفًا عَلَيْهِ فِي قِصَّةٍ أُخْرَى بِهَذَا اللَّفْظِ». الأسماء والصفات (٢/ ٣٩٥).

وللحديث طريق أخرى عند الحاكم في المستدرك (٤/ ٥٥٦، برقم ٨٥٥٨) عن أبي هريرة عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما نحوه.

وفي سنده: «عبد الله بن صالح كاتب الليث».

قال فيه الحافظ ابن حجر رحمه الله: صدوق، كثير الغلط، ثبت في كتابه، وكانت فيه غفلة، من العاشرة. التقريب (٣٣٨٨).

انظر: الصحيحة للشيخ الألباني رحمه الله برقم (٣٢٠٣).

(١) رواه الهيثم بن عدي في كتاب «الخوارج» (٧/ ٣٢١- البداية والنهاية)، **والخطيب عن حبة ابن جوين العرني عن علي رضي الله عنه قال: «كلا والله إنهم لفي أصلاب الرجال وأرحام النساء، فإذا خرجوا من بين الشرايين فقلَّ ما يلقون أحدًا إلا ألبوا أن يظهروا عليه».**

والهيثم بن عدي كذبه ابن معين والبخاري وأبو داود **والعجلي والساجي. لسان الميزان** للحافظ (٦/ ٢٠٩-٢١٠، ٧٤٠).

وحبة العرني اتفقوا على ضعفه، إلا العجلي فوثقه، ومشاه أحمد، وقال صالح جزرة: وسط، وقال ابن حبان: كان غاليًا في التشيع واهيًا في الحديث، وقال الساجي: **يكفي في ضعفه قولُه**: إنه شهد صفين مع علي ثمانون بدريًا، وقال ابن الجوزي: روى أن عليًا **شهد معه** صفين ثمانون بدريًا؛ وهذا كذب.

قال ابن حجر: إي ولله، إن صح السند إلى حبة. انظر: الإصابة (٢/ ١٦٤)، وتهذيب التهذيب (٢/ ١٥٥) للحافظ ابن حجر.

ورواه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (٨/ ٢٧٥) من طريق يحيى الحماني عن شريك عن أبي السابغة النهدي عن حبة العرني نحو لفظ الهيثم بن عدي، وزاد: «حتى تخرج طائفة منهم بين نهرين حتى يخرج إليهم رجل من ولدي فيقتلهم فلا يعودون أبدًا».

ورواه الطبراني في الأوسط (٧/ ٣٣٩، رقم ٧٦٦٦) عن أبي جعفر مولى علي عن علي قال: «لو لم يبق من أمة محمد ﷺ إلا ثلاثة لكان أحدهم على رأي هؤلاء؛ إنهم لفي أصلاب الرجال وأرحام النساء». قال الطبراني: «لم يرو هذا الحديث عن أبي جعفر مولى علي إلا أبو جعفر الفراء، ولا عن أبي جعفر إلا ابنه عبد الحميد، تفرد به الكرماني بن عمرو أخو معاوية بن عمرو». وقال الهيثمي في المجمع (٦/ ٣٦٣): «رواه الطبراني في الأوسط وفيه جماعة لم أعرفهم».

وإذ كان الأمر كما علمت فإنّ الخوارج شرّهم عظيم وضررهم جسيم، لذا رغّب النبي ﷺ الأمة في قتلهم وقتالهم، وتمنّى أن يجدهم فيقتلهم قتل عاد وثمود لشدّة شرّهم وخبثهم، فهم لا يرقبون في مؤمن إلًّا ولا ذمة، وقد يكون الكفار أعفّ قتلةً منهم، أما هم فإنهم إذا ظفروا بخصومهم قتلوهم شرّ قتلة كما فعلوا بعبد الله بن خبّاب وجاريته؛ فقد ذبحوه كالخروف وبقروا بطن جاريته عن جنينها، والشيء بنظيره يذكر؛ فإن أفعال هؤلاء الضلّال في هذا الزمن وفي الدولة السعودية بالذات يذكّرنا بذلكم الصنيع الشنيع مع الصحابة الكرام والعلماء الأعلام.

ثم ظهرت بدعة القدرية، وهم نفاة القدر الذين يعتقدون بأن الله لم يقدّر خيرًا ولا شرًّا وإنما العباد هم الذين يخلقون أفعال أنفسهم، وكذّبوا صريح القرآن؛ فقد قال الله ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]، وقال عز من قائل: ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢]، وقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥].

وفي حديث جبريل المشهور في أركان الإيمان: «وَأَنْ تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِ وَشَرِّهِ مِنَ اللهِ تَعَالَى»[1] فبطل فكر القدرية المنحرف بنصوص

(١) حديث جبريل الذي رواه أحمد في المسند: (ج١/ ٢٧، ٢٨، ٥١، ٥٢) والبخاري في كتاب خلق أفعال العباد (٢٦)، ومسلم: الإيمان، باب تعريف الإسلام والإيمان؛ برقم (٨)، وأبو داود: السنة، القدر؛ برقم (٤٦٩٥)، والنسائي: الإيمان وشرائعه، باب نعت=

الكتاب والسنة وإجماع الأمة، واستقام مذهب الطائفة الناجية المنصورة أهل السنة والجماعة القائلين بما دلّت عليه النصوص القرآنية المقتضية لكون اللَّه خالق كل شيء، رحم اللَّه السابقين منهم وسدد الباقين في كافة أعمالهم الظاهرة والباطنة.

وظهرت فرقة الشيعة[1]، يقال: أصل التشيع تفضيل علي بن أبي طالب وأهل البيت فغلا فيهم الشيعة حتى بلغ بهم الأمر أنّ فرقة منهم ألّهوا عليّ بن أبي طالب[2] ﷺ جعلوه إلهًا، فخدّ لهم الأخاديد وأوقد فيها النيران وقذفهم فيها فقال الآخرون منهم: علمنا الآن أنك إله لأنه

= الإسلام؛ برقم (٤٩٩٠)، والترمذي: الإيمان، باب مَا جَاءَ فِي وَصْفِ جِبْرِيلَ لِلنَّبِيِّ ﷺ الإِيمَانَ وَالإِسْلَامَ؛ برقم (٢٦١٠)، وابن ماجة: المقدمة، الإيمان؛ برقم (٦٣)؛ عن عمر بن الخطاب ﷺ.

ورواه أحمد: (٢/ ٤٢٦)، والبخاري: الإيمان؛ باب سؤال جبريل النبيّ ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة وبيان النبيّ ﷺ له؛ برقم (٥٠)، ومسلم: الإيمان، باب تعريف الإسلام والإيمان برقم (٩)، وأبو داود: السنة، القدر؛ برقم (٤٦٩٨)، والنسائي: الإيمان وشرائعه، باب نعت الإسلام؛ برقم (٤٩٩١)، وابن ماجه: المقدمة، الإيمان؛ برقم (٦٤)؛ من حديث أبي هريرة ﷺ، إلَّا أبا داود والنسائي فهو عندهما من حديث أبي هريرة وأبي ذرّ ﷺ معًا.

(١) الشيعة فرقة من أكذب الفرق على أئمتهم ومن أخطرها على المسلمين، ظهرت هذه الفرقة على أرجح الأقوال بعد معركة صفِّين، لها أسماء عديدة منها «الشيعة - الرافضة - الزيدية» ومن أهم الفرق الشيعية «السبئية - الكيسانية - الزيدية - الرافضة - المختارية» [«فرق معاصرة» (١/ ١٣٨)].

(٢) يتزعّم هذه الفرقة عبد اللَّه بن سبأ اليهودي حيث دعا بألوهية عليّ وأنه لم يقتل بل رفع إلى السماء وأن المقتول إنما هو شيطان، ولقد استتابه عليٌّ ثلاثة أيام فلم يرجع فأحرقه ضمن سبعين رجلًا [المصدر السابق (١/ ١٤٦)]

لا يعذب بالنار إلا الرب! وفرقة منهم تسمّى السابّة[1] وهؤلاء هم الذين يتقرّبون في دعائهم بسبّ أبي بكر وعمر وسائر أصحاب النبيّ ﷺ إلا نفرًا يسيرًا من الصحابة، وأطلقوا على أبي بكر وعمر «الجبت والطاغوت» و«صنمي قريش» واتهموا جميع الصحابة بالنفاق والتعاون على الإثم والعدوان؛ قالوا: لأنهم سلبوا عليًّا الوصية وهي أن يكون هو الخليفة بعد النبي ﷺ، فتعاونوا عليه فكان الخليفةَ أبوبكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي، وهؤلاء كذّبوا القرآن الكريم الذي أثنى اللَّه ﷻ فيه على الصحابة الكرام؛ وعلى رأسهم الخلفاء الأربعة، والفرقة الثالثة: الزيدية[2]: التي تعدّ من الفرق الإسلامية وهي المفضِّلة، وسمُّوا مفضِّلة لتفضيلهم عليًّا ﷺ على الخلفاء الثلاثة ﷺ، ولكن لا يسبّون أبا بكر وعمر وعثمان، ثم هم يقولون: بصحّة إمامة أبي بكر وعمر وعثمان على القاعدة التي عندهم «تصحّ إمامة المفضول مع وجود الفاضل»؛ فعليٌّ هو الفاضل والمفضول عندهم هو أبوبكر وعمر وعثمان، فهذه الفرقة أخفّ شرًّا وإن كانوا أهل خطأ وانحراف، وهم يوافقون المعتزلة في باب الأسماء والصفات، وهذا منهجهم في حقّ أصحاب النبيّ ﷺ إلَّا أنهم أخفّ من السابّة والمؤلّهة؛ كما مرّ قريبًا.

ثم جاءت فرقة الاعتزال أي: المعتزلة الذين قالوا بخلق القرآن

(١) فرقة من فرق الشيعة يبغضون الصحابة بغضًا شديدًا وخاصة الشيخين أبى بكر وعمر ﷺ ويتقرّبون بسبّهما. [المصدر نفسه (١/ ٢٤٠)].

(٢) نسبة إلى زيد بن عليّ بن الحسين بن عليّ ولد عام (٨٠هـ) وتوفيّ (١٢٢هـ)، من آرائهم جواز ولاية المفضول، والقول بعصمة الأئمة، وقد وصف أبو زهرة الزيدية بأنها أقرب فرق الشيعة إلى الجماعة الإسلامية وأكثر اعتدالًا. [«فرق معاصرة» (١/ ١٥٥)].

ونفي صفات الله ﷻ عن لله، وهذا تكذيب منهم لنصوص القرآن؛ فالله ﷻ أثبت لنفسه الأسماء الحسنى والصفات العلى وأثبتها له رسوله - عليه الصلاة والسلام -، فمن كذّب الله في خبره وأمره ونهيه فقد كفر؛ لذا كفّرهم كثير من أهل العلم.

ثم الجهمية المعطّلة الذين نفوا عن الله أسماءه وصفاته أيضًا، وأثبتوا لله ذاتًا مجرّدة عن الأسماء والصفات، وهو تكذيب منهم للقرآن كذلك؛ لأن الله قال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠]. وذكر الله أسماءه في القرآن كما في آخر سورة الحشر وكما في كثير من الآيات التي تختم بأسماء الله الحسنى كقوله ﷻ: ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾، ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾، ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾، ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾، ﴿وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾، ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ إلى غير ذلك من الآيات التي فيها أسماء الله وصفاته، وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «**إِنَّ للهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ**»(١) فتظافرت نصوص الكتاب والسنة على إثبات أسماء الله الحسنى وصفاته العلى على الوجه اللائق بعظمته وجلاله، وهو ما مشى عليه السلف وأتباعهم إلى يوم القيامة، وخالفتهم تلك الفرق من جهمية ومعتزلة ومن لفّ لفّهم؛ ممن نفى عن الله صفات كماله نفيًا كاملًا،

---

(١) البخاري: كتاب التوحيد، باب: إِنَّ لِلَّهِ مِائَةَ اسْمٍ إِلاَّ وَاحِدًا، رقم (٧٣٩٢)، ومسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب فِى أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى وَفَضْلِ مَنْ أَحْصَاهَا، رقم (٢٦٧٧) عن أبي هريرة واللفظ للبخاري.

وعطّل تعطيلًا كليًا، وممن عطّل تعطيلًا جزئيًا كالأشاعرة والماتريدية والكلّابية؛ فإنهم عطّلوا تعطيلًا جزئيًا فهم دخلوا في التعطيل والعياذ بلله، ووافقهم بعض العلماء الذين تأثّروا بالمذهب الأشعري الكلّابي؛ وإن كان لهم فضلُ علم في التفسير وفي الحديث إلّا أنهم وافقوا الأشاعرة في تأويل بعض نصوص الصفات تأويلًا مذمومًا، لكنهم لا يُصنّفون من أهل البدع والضلال كالأشاعرة الذين قعّدوا قواعد التأويل المذموم التي جرتهم إلى تعطيل البارئ سبحانه عن صفات كماله، فلا تترك كتبهم ولا تهجر، بل لا يستغنى عنها، وقد وقع في ذلك كثيرٌ من أهل العلم الكبار كابن حجر والقرطبي والشوكاني والقسطلاني وغيرهم، لكن هؤلاء يستفاد من علومهم الغزيرة في التفسير وفي الحديث وفي علوم القرآن وعلوم السنة، ويجب بيان ما أخطأوا فيه لطلبة العلم، والله أعلم.

وفي تعليق صاحب القصيدة الفلاح على مجانبة البدع واجتناب المحدثات والموبقات بيان أنها من أسباب الشقاء في الدنيا والبرزخ والآخرة، وذلك بعكس التمسك بحبل لله، وجملة: «لعلّك تفلح» منتزعة من قول الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

وَدِنْ بِكِتَابِ اللَّهِ وَالسُّنَنِ الَّتِي ... أَتَتْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ تَنْجُو وَتَرْبَحُ

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**ودن بكتاب الله**»؛ أي: اجعله إمامًا لك؛ تدين الله تبارك وتعالى بما فيه من الأوامر بالامتثال، والنواهي بالاجتناب، والأخبار بالتصديق، والحدود بالوقوف عندها، وغير ذلك مما في

كتاب اللَّه ﷻ من الهدى والنور الذي يجب أن يعتبره المكلّف دينًا له، مع الخضوع لما فيه، والتعبّد بما دل عليه من الفرائض والأوامر والنواهي والحلال والحرام والأخبار والوعد والوعيد إلى غير ذلك مما دل عليه كتاب اللَّه ﷻ، وكما يدين العبد بكتاب اللَّه يدين بسنة رسول اللَّه - عليه الصلاة والسلام - أي: يتعبّد اللَّه بها، ويؤمن بما جاء فيها؛ لأنها وحيٌ ثانٍ، وهي والقرآن الكريم من مشكاة واحدة أي: وحي من عند اللَّه تبارك وتعالى؛ كما قال ﷻ: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ١ - ٤]، وقال النبيّ ﷺ: «**أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ**»(١).

فلا يجوز لأحد أن يكتفي بالقرآن ويُعرض عن سنة النبيّ ﷺ، بل يجب الإيمان بالسنة الثابتة الصحيحة بجميع أقسامها، كما يجب الإيمان بالقرآن الكريم الذي هو متواتر لفظًا ومعنىً، والتديُّن بكتاب اللَّه وبالسنة المطهّرة يترتب عليه النجاة من عذاب اللَّه والفوز بجنته، لذا قال المؤلف: «تنجو وتربح» أي: دن بكتاب اللَّه والسنن التي أتت عن رسول اللَّه تنجو من عذاب اللَّه وسخطه ومقته، و«تربح»، أي: تظفر بالربح العظيم والفوز الكبير برضا اللَّه وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدّت للذين آمنوا باللَّه ورسله.

وَقُلْ غَيْرُ مَخْلُوقٍ كَلَامُ مَلِيكِنَا ... بِذَلِكَ دَانَ الأَتْقِيَاءُ وَأَفْصَحُوا

وفي قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**وقل غير مخلوق كلام مليكنا**» إرشاد إلى عقيدة

(١) سبق تخريجه (ص٢٢).

المتقين في كلام اللَّه ﷻ، وبيان أنه صفة من صفاته، فهو باعتبار صفة ذات، وباعتبار صفة فعل، فباعتبار اتصاف اللَّه به أزلًا وأبدًا هو صفة ذات، أي: أن اللَّه لم يزل متكلّمًا، وباعتبار تنزّله وتكلّم اللَّه به بمشيئته واختياره صفة فعل، أي: أن اللَّه يتكلّم متى شاء ويكلّم من شاء بما شاء؛ فكلّم اللَّه ﷻ آدم في وقت، وكلّم موسى في وقت آخر، وكلّم محمدًا - عليهم الصلاة والسلام - في وقت آخر، ويكلّم اللَّه ﷻ آدم يوم القيامة كما في الحديث الثابت عن النبيّ ﷺ: «**أَنَّ اللهَ يُنَادِي آدَمَ: يَا آدَمُ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، فَيَقُولُ: ابْعَثْ بَعْثَ النَّارِ، فَيَقُولُ: مِنْ كَمْ يَا رَبِّ؟ فَيَقُولُ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَ مِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ**»(١) ويكلّم اللَّه كلّ فرد من أفراد المؤمنين ليس بينه وبينه ترجمان كلامًا حقيقيًا يليق بعظمته وجلاله، إذًا فكلام اللَّه صفته صفة ذاتية باعتبار اتصاف اللَّه به أزلًا وأبدًا، وصفة فعلية باعتبار آحاده وتنزّله وكونه بمشيئة اللَّه - تبارك وتعالى - واختياره، والقرآن الكريم كلام اللَّه منزّل غير مخلوق؛ من اللَّه بدأ، وإليه يعود.

هذه عقيدة أهل السنة والجماعة بخلاف أهل البدع والضلال كالجهمية والمعتزلة فهؤلاء لا يؤمنون بأن القرآن منزّل من عند للّه، أما

(١) أخرجه أحمد: ٣/ ٣٢(١١٣٠٤) والبخاري: في كتاب أحاديث الأنبياء، قصة يأجوج ومأجوج، برقم (٣٣٤٨)، ومسلم: الإيمان؛ باب قَوْلِهِ: يَقُولُ اللَّهُ لآدَمَ: أَخْرِجْ بَعْثَ النَّارِ مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَ مِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ، برقم (٢٢٢)؛ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.
ورواه أحمد: ٤/ ٤٣٢(٢٠١٢٥) و٤/ ٤٣٥(٢٠١٤٣) والترمذي: التفسير، تفسير سورة الحج؛ برقم (٣١٦٨، ٣١٦٩)، عن عمران بن حصين رضي الله عنهما. وقال الترمذي فيهما كليهما: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

الجهمية فنفوا عن اللَّه كل صفة من صفات الذات والأفعال، والمعتزلة أثبتوا لله أسماءً، ونفوا عنه الصفات، وقالوا بأن كلام اللَّه مخلوق كغيره من المخلوقات؛ وهذه عقيدة فاسدة باطلة، وعقيدة الجهمية أشدّ فسادًا، ومن غير حياء تراهم يستدلّون بعمومات من القرآن الكريم؛ ومنها قول اللَّه ﷻ: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [الزمر: ٦٢]، قالوا: والقرآن شيء من الأشياء إذًا فهو مخلوق، وهذا تأويل باطل؛ لأن «كل» وإن كانت من أدوات العموم إلا أن عمومها بحسب ما تضاف إليه، كما قال اللَّه ﷻ في وصف الريح التي أرسلها على قوم عاد ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيۡءِۭ بِأَمۡرِ رَبِّهَا فَأَصۡبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمۡۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ [الأحقاف: ٢٥] يعني: تدمر كل شيء صالح للتدمير، وكلّ شيء أراد اللَّه بقاءه بقي، وهكذا ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ أي: كلّ شيء صالح لأن يكون مخلوقًا يدخل في العموم، والشيء الذي لا يجوز أن يكون مخلوقًا لا يجوز أن يقال فيه ذلك؛ كذات اللَّه وأسمائه وصفاته.

ومن صفاته القرآن الكريم لا يدخل في عموم قوله: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ فبطل احتجاجهم، وكذلك الأشاعرة والماتريدية والكلّابية لهم قول في كلام اللَّه رديءٌ مبتدَع حيث قالوا: «إن الكلام معنى قائم بذات الله» يريدون نفي الحرف والصوت واللفظ، وهذا اعتقاد فاسد؛ فإن القرآن الكريم كلام اللَّه ﷻ حروفه وألفاظه ومعانيه كلها كلام اللَّه ليس كلامه المعاني دون الحروف ولا الحروف دون المعاني، فقولهم: «معنى قائم بالنفس» قول باطل.

إذ قالت الأشاعرة: «إن اللَّه ﷻ أوحاه إلى جبريل وهو عبّر عنه

بلغته»، وقالت الكلّابية: «القرآن حكاية» أي: نزل به جبريل على محمد، وهو حكاه لقومه بلغته، وكلا القولين في غاية الفساد، وهدى اللَّه أهل السنة والجماعة إلى الاعتقاد الصحيح في كلام اللَّه ﷻ الذي منه كتبه المنزّلة فقالوا: هي كلام اللَّه ألفاظها وحروفها ومعانيها تكلّم اللَّه بها قولًا، وأنزلها وحيًا، وبلّغها جبريل إلى الرسل بلاغًا بدون زيادة ولا نقصان ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾.

فالرسل منهم البلاغ واللَّه ﷻ هو الذي تكلّم بالكتب المنزلة التي هي من كلامه؛ كالتوراة، والإنجيل، والزبور، وصحف إبراهيم وموسى، والفرقان.

وَلَا تَكُ فِي الْقُرْآنِ بِالْوَقْفِ قَائِلًا ... كَمَا قَالَ أَتْبَاعٌ لِجَهْمٍ وَأَسْجَحُوا

وقوله: «**ولا تك في القرآن بالوقف قائلًا**»: تحذير لكلّ مكلّف أن يسلك مسلك الطائفة التي تسمى الواقفة، وعقيدة هذه الطائفة هي قولهم: «لا نقول القرآن مخلوق ولا غير مخلوق بل يجب التوقف فيه»، وهذا التوقّف الصادر منهم دليل على قلّة فهمهم، وعدم العناية منهم بهذا الباب العظيم الذي هو باب الأسماء والصفات، فهم قصّروا وهم غير معذورين؛ لأن السلف - رحمهم اللَّه - في كل زمان ومكان أقاموا الحجج على أهل البدع لا سيّما في باب الأسماء والصفات، فما بقيت حجّة لأحد، وإذ كان الأمر كما علمت فإنّ الواقفة من طوائف البدع الهالكة بقولهم: «لا نقول في القرآن إنه مخلوق ولا نقول غير مخلوق»، وقد ذمّهم السلف واعتبروا قولهم هذا قولًا فاسدًا، فهم من أهل التعطيل ولا شكّ.

قوله: «كما قال أتباع لجهم» أي: الجهم بن صفوان، وقوله: «وأسجحوا»: يُقال ركب فلان سجيحة رأسه، وهو ما اختاره لنفسه من الرأي فركبه(١).

وَلا تقل القرآن خلق قرأته فإن كلام اللَّه باللفظ يوضح

وقوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **«ولا تقل القرآن خلق قرأته»**(٢) رد على المعتزلة الذين قالوا بخلق القرآن كما سبق بيانه، وهو رد أيضًا على الأشاعرة والكلّابية والماتريدية الذين قالوا: «كلام اللَّه معنى من المعاني قائم بالنفس بلا حرف ولا صوت، وأن هذا القرآن الذي بين أيدينا عبارة أو حكاية عن ذلكم المعنى القائم بالنفس»، وهو معتقد فاسد وقول باطل؛ ترده وتُبيِّن فساده وبطلانه نصوص الكتاب والسنة كما بيّنتُ ذلك قريبًا، وأما كلام أئمة العلم أعني السلف الصالح السابق واللاحق منهم فإنهم يقولون: إن القرآن الكريم من كلام اللَّه ﷻ تكلّم به قولًا وأنزله وحيًا وبلّغه جبريل محمدًا عليهما الصلاة والسلام كاملًا وبلّغه محمدٌ ﷺ أمته فأخذته الأجيال اللاحقون عن السابقين؛ فقد أخذه التابعون عن الصحابة ومن بعدهم أخذ عنهم وهكذا يأخذه الجيل اللاحق عن السابق، وذلك من أسباب حفظه الذي تكفّل اللَّه به وأخبرنا بذلك في

(١) والمعنى: أن الجهمية اختاروا سوء المعتقد وقبيح القول في القرآن الكريم، وللمفردة معاني كثيرة يراجع لها لسان العرب، الجزء السادس (ص١٧٣).

(٢) ورد في بعض النسخ بلفظ: «قراءة»، فيكون المقصود بذلك: بدعة «اللفظية»؛ الذين قالوا: «لفظي بالقرآن مخلوق»، وهو قول محدَث لاحتماله حقًّا وباطلًا؛ فإنهم إن أرادوا به القرآن فذاك قول الجهمية، وإن أرادوا به التلفظ الذي هو فعل العبد فهو قولٌ محدَث. انظر «الأجوبة المختصرة على الأسئلة العشرة» للشارح (ص٨٦).

محكم تنزيله إذ قال وقوله الحق: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

وقوله: «فإنّ كلام اللَّه باللفظ يوضح» أي: إنّ ألفاظ القرآن الكريم التي هي كلام اللَّه تدلّ على المعاني وتبيِّنها لتطابق ألفاظه ومعانيه؛ إذ الكلّ كلام اللَّه الحروف والألفاظ والمعاني، وإذ كان الأمر كذلك فقد بطل معتقد الفرق الهالكة في كلام اللَّه عز شأنه، واستقام معتقد أهل السنة والجماعة بأدلة الكتاب والسنة. والحمدلله الذي هدى من شاء من خلقه لمنهج الحق في العقيدة والعمل والأدب والسلوك، جعلنا اللَّه منهم بمنّه وكرمه.

وَقُلْ يَتَجَلَّى اللَّهُ لِلْخَلْقِ جَهْرَةً كَمَا الْبَدْرُ لَا يَخْفَى وَرَبُّكَ أَوْضَحُ

وفي قول مؤلّف القصيدة رَحِمَهُ اللَّهُ: **«وقل يتجلّى اللَّه للخلق جهرة»**: بيانٌ لمذهب أهل السنة والجماعة في أن المؤمنين يرون ربهم في الدار الآخرة في عرصات القيامة، وفي الجنة؛ والأدلة على ذلك من الكتاب والسنة واضحة شهيرة ومحكمة، ومنها: قول اللَّه ﷻ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٣]، الأولى: من النضارة وهي البهاء والحسن والثانية: من النظر إلى اللَّه - تبارك وتعالى - حقيقة، وقوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [يونس: ٢٦] فقد فسَّر النبيّ ﷺ الحسنى بالجنة وفسَّر الزيادة بالنظر إلى الله(١) - تبارك وتعالى - وهو أعظم نعيم يتنعم

(١) إشارة إلى الحديث الذي أخرجه أحمد: ٤/ ٣٣٢(١٩١٤٣) و٦/ ١٥(٢٤٤٢١) و٤/ ٣٣٢(١٩١٤٤) و٤/ ٣٣٣(١٩١٤٩)، ومسلم: الإيمان، بابُ إِثْبَاتِ رُؤْيَةِ الْمُؤْمِنِينَ فِي=

به أهل الجنة، ومنها: قول اللّه تعالى عن الكفار ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥] أي: فلما حجب اللّه أعداءه فإنه يتجلّى لأوليائه أهل الجنة، كما ورد في السنة ما يفيد ذلك، ومنه ما أشار إليه المؤلف بقوله «كما البدر لا يخفى» ذلك إشارة إلى الحديث الثابت الذي رواه جرير بن عبداللّه البجليّ[١] ﷺ، قال: كنا جلوسًا مع رسول اللّه ﷺ فنظر إلى القمر ليلة أربع عشرة فقال: «**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ عِيانًا كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ لَا تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَلَّا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَصَلَاةٍ قَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا**»[٢] فشبّه الرؤية بالرؤية لا المرئيَّ بالمرئيِّ، أي: لم يشبّه النبيّ ﷺ ربّه بالقمر، وإنما شبّه الرؤية بالرؤية، فإذا كان الناس يرون القمر ليلة البدر الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر رؤية واضحة جليّة، فإنهم سيرون ربهم كرؤيتهم القمر ليلة البدر وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة وتلك

= الآخِرَةِ رَبَّهُمْ ﷻ؛ رقم (١٨١)، وأخرجه الترمذي: صفة الجنة، باب ما جاء في رؤية الرب تبارك وتعالى؛ برقم (٢٥٥٢)، وابن ماجه: المقدمة، باب فيما أنكرت الجهمية؛ برقم (١٨٧)، عن صهيب ﷺ.

(١) وهو جرير بن عبداللّه بن جابر، أبو عمرو، وقيل أبو عبداللّه البجلي، أسلم جرير قبل وفاة النبيّ ﷺ بأربعين يومًا، قال عنه عمر ﷺ: «جرير يوسف هذه الأمة» توفي بالسراة سنة (٥١هـ) وقيل (٥٤هـ). [انظر: «أسد الغابة» (١/ ٣٣٣/ ٣٣٤)].

(٢) أخرجه أحمد: ٤/ ٣٦٠(١٩٤٠٤) و٤/ ٣٦٢(١٩٤١٩) و٤/ ٣٦٥(١٩٤٦٤)، والبخاري: مواقيت الصلاة، بَابٌ: فَضْلُ صَلاةِ الْعَصْرِ؛ برقم (٥٥٤)، ومسلم: كِتَاب الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلاةِ، باب فَضْلِ صَلاتَيْ الصُّبْحِ وَالْعَصْرِ وَالْمُحَافَظَةِ عَلَيْهِمَا برقم (٦٣٣)، وأبو داود: السنة، باب في الرؤية؛ برقم (٤٧٢٩)، والترمذي: صفة الجنة، باب مَا جَاءَ فِي رُؤْيَةِ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى؛ برقم (٢٥٥١)، وابن ماجه: المقدمة، باب فِيمَا أَنْكَرَتْ الْجَهْمِيَّةُ؛ برقم (١٧٧)؛ من حديث جرير بن عبد اللّه البجلي ﷺ.

أدلتهم بخلاف من نفوا رؤية المؤمنين لربهم وأوّلوها تأويلًا باطلًا.

والناس في الرؤية ثلاثة أقسام: طرفان ووسط:

الطرف الأول: من غلوا في نفي الرؤية كالمعتزلة والجهمية الذين غلوا في النفي فاعتقدوا وأعلنوا أن اللّه لا يُرى لا في الدنيا ولا في الآخرة لجهلهم بالنصوص ومعانيها الصحيحة، ويستدلّون بعمومات من القرآن لا تصلح دليلًا لهم؛ كقول اللّه ﷻ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]؛ إذ قالوا «تدرك» بمعنى: ترى، فيكون معنى الآية عندهم: لا تراه الأبصار وهو تفسير باطل، والتفسير الصحيح ما جاء عن ابن عباس وغيره: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ أي: لا تحيط به[١]، فاللّه ﷻ لا يحيط به شيء من خلقه، بل هو المحيط بجميع مخلوقاته؛ كما قال ﷻ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾، وقال في حقه: ﴿أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾، وقال: ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ﴾، وقال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ ۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ﴾ أي: علمًا وقدرةً، ولا يلزم من نفي الإحاطة في الرؤية نفي الرؤية بل الرؤية للمؤمنين ثابتة بنصوص القرآن والسنة.

والطرف الثاني: غلوا في إثبات الرؤية كغلاة الصوفية[٢]؛ الذين

(١) انظر تفسير «الجامع لأحكام القرآن» للإمام القرطبي (٧/ ٣٧) عند تفسير قوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

(٢) الصوفية طائفة من الفرق الهالكة المبتدعة اختلف العلماء حول التعريف الحقيقي للصوفية، ولعل سبب تسميتهم بالصوفية نسبة إلى لبس الصوف، ومن أسماء الصوفية «الصوفية - أرباب الحقائق - الفقراء - الجوعية - الملامية أو الملامتية»، وقد اختلف في ظهور المذهب الصوفي فقيل: سنة (١٥٠هـ)، وقيل سنة (١٨٩هـ)، وقيل: ظهر بعد المائتين من الهجرة، وقيل بعد القرون الثلاثة الأولى أي في القرن الرابع الهجري، ومن عقائدهم الفاسدة وقولهم على اللّه بغير علم، قولهم بوحدة الوجود والحلول والاتحاد ووحدة الشهود والكشف=

يعتقدون بأن زعماءهم يَرون اللَّه في الدنيا والآخرة، وكذبوا إذ لم يستندوا إلى برهان، بل إلى التخرص والهذيان.

وأهل السنة والجماعة: وسطٌ بين الغلاة في نفي الرؤية، والغلاة في إثباتها على الفهم الذي رأيت، فقد أثبتوا رؤية المؤمنين لربهم في الآخرة في عرصات القيامة وفي الجنة، ونفوا رؤية المؤمنين وغيرهم عن اللَّه - تبارك وتعالى - في الدنيا؛ فإن اللَّه لا يراه أحد في الدنيا الفانية كما قال اللَّه ﷻ: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

والخلاصة: أن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة في دار النعيم على اختلاف منازلهم وذلك من أجلّ نعيمهم، ولم يره أحد في الدنيا لا من الرسل - عليهم السلام - ولا من هو دونهم، وأن جميع الكافرين لا يرون ربهم يوم القيامة، بل هم محجوبون عنه بأدلّة الكتاب والسنة عقوبةً لهم، وأما المنافقون نفاقًا اعتقاديًا؛ ففي الدرك الأسفل من النار تحت الكافرين(١) لقول اللَّه تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ

= والقطب والغوث، ومن كبار دعاة هذه الطائفة الضالة: الحلاج وابن عربي وابن الفارض والبسطامي والجيلي وغيرهم كثير. [انظر «فرق معاصرة» (ص٥٧٥) وما بعدها بتصرف شديد واختصار].

(١) وأما المنافقون: فإنهم يرون اللَّه مع المؤمنين في عرصات القيامة فيتهيؤون للسجود كما سجد المؤمنون فتعود ظهورهم طبقًا واحدًا، أي: لا يقدرون على السجود كما قصّ اللَّه ﷻ ذلك بقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [القلم: ٤٢]. انظر «شرح عقيدة ابن أبي زيد القيرواني» للمؤلّف (ص ١٣٤).

ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ [النساء: ١٤٥].

وَلَيْسَ بِمَوْلُودٍ وَلَيْسَ بِوَالِدٍ ... وَلَيْسَ لَهُ شِبْهٌ تَعَالَى الْمُسَبَّحُ

قول المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ: «وليس بمولود وليس بوالد»: معنى ذلك: أن اللَّه - تبارك وتعالى - ليس بمولود أي: ليس له والد، وليس بوالد: أي لا ولد له، والأدلة على ذلك من القرآن والسنة كثيرة محكمة؛ ومن ذلك قول اللَّه ﷻ: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون: ٩١]، وكقوله - تبارك وتعالى -: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ [الجن: ٣] وكقوله - عزّ شأنه -: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ [الإخلاص: ٣] وغيرها كثير، وما ذلك إلا لكمال غناه ﷻ فلا يحتاج إلى صاحبةٍ، ولا يحتاج إلى ولد، ولا إلى مُعين، ولا ظهير؛ بل هو الإله الحق الواحد الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد. هذه عقيدة المؤمنين في ربّهم عزّ في عُلاه قال - سبحانه -: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣]، وقال ﷻ: ﴿فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ﴾ [الحج: ٣٤]، وقال - تبارك وتعالى -: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] إلى غير ذلك من النصوص التي تدلّ على أن اللَّه تبارك وتعالى هو الواحد الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد، له الأسماء الحسنى، وله صفات الكمال والجلال التي جاءت نصوصها في الكتاب والسنة.

* وقوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «وليس له شبه تعالى المسبَّح» أي: ليس لله شبيه من مخلوقاته، وليس له مثيل، ولا كفو له، ولا ندّ له؛ كما قال ﷻ:

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، فنفى اللَّه - تبارك وتعالى - أن يكون له شبيه من خلقه، بل له الكمال المطلق ذاتًا وأسماءً وصفاتٍ؛ إذ هو الخالق وما سواه مخلوق، وهو الربّ وما سواه مربوب، وهو المعبود وما سواه عبد، وهو صاحب الكمال المطلق، وما سواه محلّ النقص، وهو الغنيّ وما سواه مفتقر إليه ومحتاج إليه؛ كما قال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥]. هذا هو معتقد أهل السنة والجماعة، يثبتون لربهم صفات الكمال وينفون عنه صفات النقص، ويردّون ما قاله أهل التشبيه وأهل التعطيل بنصوص الكتاب والسنة الواضحة البيّنة، بل ويردّون على كل من خالفهم من أهل البدع والضلال.

وَقَدْ يُنْكِرُ الْجَهْمِيُّ هَذَا ....

لذا قال مؤلف القصيدة: «وقد ينكر الجهمي هذا» أي: الجهمية المعطّلة والمشبّهة كلّهم ينكرون ما دلّت عليه نصوص الكتاب والسنة من إثبات الأسماء الحسنى وصفات الكمال للخلّاق العليم، فأما الجهمية فإنهم نفوا عن اللَّه أسماءه الحسنى وصفاته العلى فشبّهوه بالعدم؛ لأن الذي لا يسمّى باسم ولا يوصف بصفة فهو عدم، فالعابد منهم يعبد عدمًا، والعابد من المشبّهة يعبد صنمًا؛ لأنه شبّه اللَّه بخلقه، وأهل السنة والجماعة يعبدون إلهًا واحدًا هو اللَّه الذي يجب أن يطاع فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر، لا يستحقّ أن يعبد أحدٌ سواه.

.... وَعِنْدَنَا بِمِصْدَاقِ مَا قُلْنَا حَدِيثٌ مُصَرَّحُ

وقوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «... وعندنا! بمصداق ما قلنا حديث مصرح» أي: عند أهل السنة والجماعة الذين ينطق المؤلّف بلسانهم ما يصدّق قولهم في رؤية المؤمنين لربهم هو الحديث الصريح الذي رواه جرير بن عبد اللَّه البجلي رضي الله عنه؛ وقد تقدّم قريبًا، وفيه إثبات رؤية المؤمنين لربهم في عرصات القيامة ومعهم المنافقون، وفي الجنة خالصة للمؤمنين، كما أن نصوص الكتاب والسنة مصرّحة بأن اللَّه - تبارك وتعالى - له الكمال المطلق ذاتًا وأسماءً وصفاتٍ، وأنه لا شبيه له من مخلوقاته؛ كما قال - تبارك وتعالى -: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وهذه الجملة العظيمة فيها ردٌّ على طائفتين من طوائف البدع: هما المشبّهة الذين شبّهوا اللَّه بخلقه فقالوا: إن صفات الخالق كصفات المخلوق؛ إذ قالوا: إن لله يدًا كأيدينا وسمعًا كسمعنا وبصرًا كبصرنا، وهلُمّ جرًّا، وكذبوا في ذلك وما قدروا اللَّه حقّ قدره، ولا نزّهوه عن صفات النقص والعيب، تعالى اللَّه عن قولهم علوًّا كبيرًا، وفيها ردٌّ على المعطّلة مأخوذ من قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾؛ لأن أهل التعطيل نفوا عن اللَّه - تبارك وتعالى - أسماءه وصفاته، واللَّه ﷻ أثبتها لنفسه، فهم مكذّبون للقرآن؛ لذا كفّرهم جمهور السلف ولم يقبلوا لهم عذرًا؛ لأن الحجة قد قامت عليهم بواسطة أئمة العلم الذين وفّقهم اللَّه للفقه في نصوص الكتاب والسنة في هذا الباب العظيم وغيره من أبواب العلم الشرعي، فتطابقت نصوص الكتاب والسنة على إثبات ما أثبته اللَّه لنفسه من أسمائه الحسنى وصفاته العلى وأفعاله الجليلة، وتجلّيه لعباده المؤمنين في الجنة عِيانًا كما هو مقتضى نصوص الكتاب العزيز والسنة المطهرة، وإثبات ما أثبته له نبيّه محمد ﷺ كذلك إثباتًا

بلا تشبيه ولا تمثيل وتنزيهًا بريئًا من التأويل والتعطيل بل كما قال الله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

رَوَاهُ جَرِيرٌ عَنْ مَقَالِ مُحَمَّدٍ ... فَقُلْ مِثْلَ مَا قَدْ قَالَ فِي ذَاكَ تَنْجَحُ

وَقَدْ يُنْكِرُ الْجَهْمِيُّ أَيْضًا يَمِينَهُ ... وَكِلْتَا يَدَيْهِ بِالْفَوَاضِلِ تَنْفَحُ

وقوله: . **«فقل مثل ما قد قال في ذاك تنجح»**، أي: دم على ما دلّت عليه النصوص من المعاني الصحيحة؛ إذ إن من فعل ذلك فقد هدي للصواب في هذا الباب العظيم الذي يتعلق ببيان هذا النوع من أنواع التوحيد؛ أعني توحيد الأسماء والصفات الذي من أحسن فيه القول والعمل فقد نجح وظفر بالمطلوب ونجا من المرهوب.

* **وفي قول المؤلف: «وقد ينكر الجهمي أيضًا يمينه»** أي: إن الله ﷻ أثبت لنفسه صفة اليدين، فأثبتها أهل السنة والجماعة حقًّا على مراد الله ونهج رسوله ﷺ، وأما الجهمية والمعتزلة ومن دونهم في التعطيل من الأشاعرة والكُلّابية، فمنهم من عطّلها تعطيلًا كاملًا كالجهمية والمعتزلة، ومنهم من عطّل تعطيلًا جزئيًّا بالتأويل الفاسد كالأشاعرة والكُلّابية والماتريدية ومن لفّ لفّهم، لذا قال المؤلف «وقد ينكر الجهمي أيضًا يمينه» أي: يمين الرحمن، وكلتا يديه يمين.

* **قوله: «وكلتا يديه بالفواضل تنفح»** أي: أثبت الله ﷻ لنفسه صفة اليدين صفة ذاتيةً تليق بعظمة الله وجلاله، لا تنفكّ عنه - تبارك وتعالى - كغيرها من الصفات الذاتية كالسمع والبصر والقدرة ونحوها من صفات الكمال الذاتية التي لا تنفكّ عن لله، ولفظ اليدين جاء تارة بلفظ التثنية، وتارة بلفظ الإفراد، وتارة بلفظ الجمع، والمقصود إثبات

يدين اثنتين لله تبارك وتعالى؛ دلّ على ذلك قول الله ﷻ: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [المائدة: ٦٤]، والآية دليل صريح في إثبات صفة اليدين صفة ذاتيةً تليق بعظمة الله وجلاله؛ لا تشبيه ولا تمثيل ولا تحريف ولا تعطيل ولا تأويل، وجاءت اليد بلفظ الإفراد؛ كما في قوله ﷻ: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك: ١] وقال ﷻ: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ﴾ [الفتح: ١٠]، وجاءت بلفظ الجمع؛ كما في قوله ﷻ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ﴾ [يس: ٧١]، وتوجيه الإفراد كي يتّفق مع آية المائدة: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ هو: أن كلمة: «يد» مفرد مضافٌ، والمفرد المضاف يعمّ فيتناول الواحد والاثنين والجمع، فـ: «يد» مفرد مضافٌ، ولفظ الجلالة في قوله سبحانه: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ﴾ مضاف إليه، وفي قوله: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ﴾ تقول: «يد»: مضافٌ والضمير: مضاف إليه، فلا يختلف مع قوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ بل يتفق؛ لكونه يطلق على المفرد وعلى الاثنين وعلى الجمع، وأما مجيء لفظ اليد مجموعًا في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ﴾ [يس: ٧١]، فجاءت مجموعةً هنا للمشاكلة بين المضاف والمضاف إليه، «أيدي»: مضافٌ و«نا»: مضاف إليه، فلما كان الضمير «نا» الدال على التعظيم يفيد الجمع؛ جاء لفظ الأيدي مجموعًا من أجل المشاكلة، إذًا فلا تعارض بين النصوص التي رأيتَ، والتي تفيد أن لله -تبارك

وتعالى- يدين اثنتين تليق بعظمته وجلاله كغيرها من الصفات الذاتية صفات الكمال والجلال؛ التي لا يجوز فيها التشبيه ولا التعطيل ولا التأويل ولا التحريف ولا التمثيل، وقد جاء في الحديث أن أبا هريرة قال: سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: «**يَقْبِضُ اللهُ الأَرْضَ، وَيَطْوِي السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الملِكُ أَيْنَ مُلُوكُ الأَرْضِ؟**» متفق عليه[1]، فلا شيء من صفات الخالق تشبه صفات المخلوق، بل صفات الخالق تليق بجلاله وبكماله وصفات المخلوق تليق بحاله، وهي قاعدة مطّردة أن كلّ اسم لله وكلّ صفة له لا يشبه شيئًا من أسماء وصفات المخلوقين، ولا تشترك إلا في اللفظ فقط، فيقال للمخلوق يد مثلًا كما يقال للخالق يد، ويقال للخالق سمع وبصر وللمخلوق سمع وبصر، ولكن سمع الخالق وبصره - تبارك وتعالى - صفات كمال وجلال، وصفة المخلوق سمعه وبصره تليق بحاله؛ مسبوقة بالعدم ويأتي عليها الفناء، ويطرأ عليها العطب، بخلاف سمع الخالق وبصره؛ فإنهما صفات كمال وجلال كذاته - تبارك وتعالى - كما أسلفت قريبًا.

وقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**بالفواضل تنفح**» أي: أن اللّه ذو الفضل والإحسان يعطي عطاءً لا نظير له؛ إذ كل شيء من خيري الدنيا والآخرة فهو من عطائه، وفي الحديث ما ثبت عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول اللّه ﷺ

---

(١) هذا لفظ البخاري: الرقاق، باب يَقْبِضُ اللّهُ الأَرْضَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ برقم (٦٥١٩) ولمسلم: صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ، باب؛ برقم (٢٧٨٧) نحوه، ولمسلم عن عبدالله بن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: «**يطوي اللّه عز وجل السماوات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول: أنا الملك أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ثم يطوي الأرضين بشماله ثم يقول: أنا الملك أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟**» حديث رقم (٢٧٨٨).

قال: «**يَمِينُ اللهِ مَلْأَى لَا يغِيضُهَا نَفَقَةٌ سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فَإِنَّهُ لَمْ ينقص مِمَّا فِي يَمِينِهِ، وَعَرْشُهُ عَلَى المَاءِ، وَبِيَدِهِ الأُخْرَى القَبْض يَرْفَعُ وَيَخْفِضُ**»[1].

وَقُلْ يَنْزِلُ الْجَبَّارُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ بِلَا كَيْفٍ جَلَّ الْوَاحِدُ الْمُتَمَدِّحُ

وقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**وقل ينزل الجبار في كل ليلة**» معنى ذلك: أن اللّه -تبارك وتعالى- موصوف بالنزول وهي صفة فعلية، ومثلها صفة المجيء والإتيان والرضا والغضب والمقت والسخط: صفات فعلية، والصفات الفعلية -كما سبق بيانها- هي التي يتّصف اللّه عز وجل بها بحسب مشيئته واختياره متى شاء أن يتّصف بها اتّصف، وهو الحكيم في أفعاله لا معقّب لحكمه، ولا اعتراض على أفعاله وأقداره، وقد روى الشيخان حديث نزوله إلى السماء الدنيا كلّ ليلة فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول اللّه ﷺ قال: «**يَنْزِلُ رَبُّنَا كلَّ ليلة إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ فيقول: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ**»[2]، وله روايات أخرى في بعضها

---

(١) أخرجه أحمد: ٢/ ٣١٣(٨١٢٥) و٢/ ٣١٤(٨١٣٨)، والبخاري: التوحيد، باب: «**وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ**» «**وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ**» رقم (٧٤١٩)، ومسلم: الزكاة، باب الْحَثِّ عَلَى النَّفَقَةِ وَتَبْشِيرِ الْمُنْفِقِ بِالْخَلَفِ، برقم (٩٩٣)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وانظر «شرح السنة» للبغوي (٦/ ١٥٤ـ ١٥٥).

(٢) رواه مالك: النداء للصلاة، ما جاء في الدعاء؛ برقم (٥٧٠)، وأحمد: (٢/ ٢٦٤ و٢٦٧ و٤٨٧ و٥٠٤)، والبخاري: الجمعة، باب الدُّعَاءِ فِي الصَّلاةِ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ؛ برقم (١٠٩٤)، ورواه برقم (٥٩٦٢، ٧٠٥٦)، ومسلم: صلاة المسافرين وقصرها، باب التَّرْغِيبِ فِي الدُّعَاءِ وَالذِّكْرِ فِي آخِرِ اللَّيْلِ وَالإِجَابَةِ فِيهِ؛ برقم (٧٥٨)، وأبو داود: السنة، في الرد على الجهمية؛ برقم (٤٧٣٣)، والترمذي: الدعوات، باب مَا جَاءَ فِي عَقْدِ التَّسْبِيحِ بِالْيَدِ؛ برقم (٣٤٩٨)، =

زيادة: «مَنْ يُقْرِضُ غَيْرَ عَدِيمٍ وَلَا ظَلُومٍ»[1]، وهو دليل على أن اللَّه ينزل إلى السماء الدنيا، وهو سبحانه قد وصف نفسه بأنه على العرش استوى كما قال ﷻ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، ولا يجوز أن يسأل كيف ينزل؟ وكيف يصعد؟ ولا كيف استوى؟ وإنما يفوِّض أهل السنة والجماعة أهل الحديث والأثر علم كيفية ذات اللَّه وأسمائه وصفاته إليه جلّ وعلا، وأما معاني الأسماء والصفات؛ فإنهم يعرفونها، ويتفقّهون فيها، ويعملون بها؛ لأن اللَّه ﷻ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

قال تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ [البقرة: ٢١٠] فهو ينزل إلى السماء الدنيا، ويجيء لفصل القضاء بين العباد...، وكلها صفات فعلية تليق بعظمة اللَّه وجلاله؛ لا يقال فيها: كيف ينزل أو يجيء؟ ولا يجوز لأحد أن يؤوِّلها بالتأويل المذموم الباطل كما فعل الأشاعرة ومن لفّ لفّهم، ممن أوّلوا المجيء والإتيان والنزول بتأويلات باطلة؛ فقالوا: تنزل ملائكته أو ينزل أمره ويأتي ثوابه وتجيء ملائكته، كل هذه تأويلات فاسدة يردّها العقل والنقل، وأما أهل الحديث والأثر أتباع سيد البشر عليه الصلاة والسلام؛ فإنهم أثبتوا لله ﷻ صفاته الذاتية والفعلية، فصحّت عقيدتهم، وأراحوا أنفسهم من التكلّفات والتخبّط في الخطأ وفساد المعاني، فرضي اللَّه عنهم وأرضاهم، وغفر لنا ولهم ورحمنا وإياهم.

= وابن ماجه: إِقَامَةِ الصَّلَاةِ وَالسُّنَّةِ فِيهَا، باب مَا جَاءَ فِي أَيِّ سَاعَاتِ اللَّيْلِ أَفْضَلُ؛ برقم (١٣٦٦)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(١) عند مسلم برقم (٧٥٨/ ١٧١) من طريق سعيد بن مرجانة عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وغيرهم الذين أعرضوا عن النصوص الشرعية وحكّموا العقول القاصرة في هذا الباب العظيم ضلّوا وأضلّوا على اختلاف طبقاتهم؛ كالجهمية الهالكة والمعتزلة الضالة والأشاعرة والماتريدية والكُلّابية والواقفة والمفوِّضة، هؤلاء كلهم ضلّوا في هذا الباب على تفاوت بينهم، فأشقاهم الجهمية وأفراخهم المعتزلة، ولحق بهم وشاركهم في التعطيل الجزئي: الأشاعرة والماتريدية والكُلّابية، وضلّ في هذا الباب الواقفة الذين قالوا: لا نقول القرآن مخلوق ولا غير مخلوق، والمفوِّضة الذين قالوا: نثبت الأسماء والصفات ولكن لا ندري عن المعاني شيئًا، ولا نقول فيها شيئًا بل نفوض علمها إلى للَّه، وكأن اللَّه - تبارك وتعالى - خاطب الأمة بكلام لا يفهمونه، أو كأن الرسول - عليه الصلاة والسلام - لم يبيّن لهم معاني نصوص هذا الباب العظيم الذي هو نوع من أجلّ أنواع التوحيد.

إِلَى طَبَقِ الدُّنْيَا يَمُنُّ بِفَضْلِهِ ... فَتُفْرَجُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَتُفْتَحُ

يَقُولُ أَلَا مُسْتَغْفِرٌ يَلْقَ غَافِرًا ... وَمُسْتَمْنِحٌ خَيْرًا وَرِزْقًا فَيُمْنَحُ

رَوَى ذَاكَ قَوْمٌ لَا يُرَدُّ حَدِيثُهُمْ ... أَلَا خَابَ قَوْمٌ كَذَّبُوهُمْ وَقُبِّحُوا

قوله رحمه الله: **«روى ذاك قوم»** يريد بالمروي هنا حديث النزول الذي سبق تدوينه قريبًا، وأشار إليه المؤلف بقوله رحمه الله:

يَقُولُ أَلَا مُسْتَغْفِرٌ يَلْقَ غَافِرًا ... وَمُسْتَمْنِحٌ خَيْرًا وَرِزْقًا فَيُمْنَحُ

والمراد بالقوم في قوله: **«روى ذاك قوم لا يرد حديثهم»**: هم العدول الثقات الذين رووا حديث النزول من الصحابة والأئمة من بعدهم.

وقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ألا خاب قوم كذّبوهم وقبّحوا»: فيه دعاء على من كذّب من روى هذا الحديث - حديث النزول - الذي تلقته أمة الإسلام بالتصديق والقبول، وتلقّاه أهل البدع والضلال بالتأويل الفاسد المرذول، ألا ذلّوا وخسروا بما أقدموا عليه من تكذيب أهل الصدق والوفاء ورثة الأنبياء وحملة الشريعة الحنفاء.

وَقُلْ إِنَّ خَيْرَ النَّاسِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ ... وَزِيرَاهُ قُدْمًا ثُمَّ عُثْمَانُ الأَرْجَحُ

وَرَابِعُهُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ بَعْدَهُمْ ... عَلِيٌّ حَلِيفُ الْخَيْرِ بِالْخَيْرِ مُنْجِحُ

معنى ذلك: أن من معتقد أهل السنة والجماعة سابقهم ولاحقهم أن خير الناس بعد النبيّ محمد ﷺ هو أبوبكر الصديق(١)، ثم عمر الفاروق(٢).

(١) هو الصحابي الجليل عبدالله بن أبي قحافة عثمان بن عامر بن كعب بن سعد بن تميم بن مرة بن كعب ابن لؤي القرشي التيمي، أبو بكر الصديق أول الخلفاء الراشدين، ولد بعد عام الفيل بسنتين وستة أشهر بمكة، كان من سادات قريش وغنيًا من موسريهم، عالمًا بأنساب القبائل وأخبارها وكان يلقب بعالم قريش، هو أول من آمن بالنبي ﷺ من الرجال ورفيقه ومؤنسه في الهجرة، ثاني اثنين إذ هما في الغار، أفضل الأمة وخيرها بعد النبي ﷺ، شهد المشاهد كلها، بويع له بالخلافة بعد وفاة النبي ﷺ سنة (١١هـ) فحارب المرتدين ومانعي الزكاة وافتتحت في إمارته الشام وقسم كبير من العراق، كان أبيض نحيفًا خفيف العارضين معروق الوجه ناتئ الجبهة جعدًا مشرف الوركين خطيبًا لسنًا عارفًا بوجوه الكلام شجاعًا، توفي لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة (١٣هـ) وهو ابن ٦٣سنة، خلافته سنتين وثلاثة أشهر وعشرين يوما. [انظر «فضائل الصحابة» (١/ ٧٦-٧٧) للإمام أحمد بتحقيق وصي الله عباس - الحاشية(١)- و«أسد الغابة» (٣/ ٢٠٥)].

(٢) هو الصحابي الجليل عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبدالعزى بن رياح بن عبدالله بن قرط بن رزاح ابن عدي بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي العدوي، أبو حفص أمير المؤمنين الفاروق ثاني الخلفاء الراشدين، من أيّد الله به الإسلام وفتح به الأمصار وهو الصادق المحدث الملهم الذي قال فيه المصطفى ﷺ: «لو كان بعدي نبي لكان عمر» أحد العشرة المبشرين=

ويليهما عثمان ذو النورين(١)، ويليهم علي بن أبي طالب ذو السبطين(٢). وهذا ما أجمع عليه أهل السنة والجماعة أن الخلفاء الأربعة ترتيبهم في الخلافة كترتيبهم في الفضل، لذا عبر المؤلف بقوله: «وقل» أي: أيها المسلم «إن خير الناس بعد محمّد» أي: أفضل

= بالجنة، ولد بعد عام الفيل بثلاث عشرة سنة كان في الجاهلية من أبطال قريش وأشرافهم، دخل في الإسلام قبل الهجرة بخمس سنين، فكان إسلامه عزًّا وقوة للمسلمين وفرجًا من الضيق، وهاجر وشهد المشاهد مع النبي ﷺ وبويع له بالخلافة يوم وفاة أبي بكر الصديق سنة (١٣هـ)، هو أول من أرخ بالتأريخ الهجري، وأول من دون الدواوين فتح الشام والعراق والقدس والمدائن ومصر والجزيرة كان طويلًا يفرع الناس كأنه على دابة، جسيمًا أصلع أعسر شديد الحمرة كثير السبلة في أطرافها صهوبة وفي عارضيه خفة، استشهد رضي الله عنه بيد أبي لؤلؤة المجوسي غلام المغيرة بن شعبة غيلة وهو في الصلاة سنة (٢٣هـ) [انظر «فضائل الصحابة» (١/ ٢٩٩)- الحاشية(١)-].

(١) هو الصحابي الجليل عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس القرشي الأموي أمير المؤمنين ذو النورين صهر رسول الله ﷺ على ابنتيه ثالث الخلفاء الراشدين وأحد العشرة المبشرين بالجنة، ولد بمكة وأسلم بعد البعثة بقليل وكان غنيًا شريفًا في الجاهلية، ومن أعظم أعماله تجهيز جيش العسرة بماله، وصارت إليه الخلافة بعد استشهاد عمر سنة (٢٣هـ) بمشورة من أصحاب رسول الله ﷺ فافتتحت في أيامه أرمينية وقوقاز وخراسان وكرمان وسجستان وقبرص وغيرها، وأتم جمع القرآن وجمع المسلمين على مصحف واحد، استشهد وهو يقرأ القرآن صبيحة عيد الأضحى سنة (٣٥هـ). [انظر: «فضائل الصحابة» (١/ ٥٤٧) -الحاشية رقم (١)- و«أسد الغابة» (٣/ ٣٧٦)].

(٢) هو الصحابي الجليل عليّ بن أبي طالب بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبدمناف القرشي الهاشمي، أبو الحسن، أول الناس إسلامًا في قول كثير من أهل العلم، ولد قبل البعثة بعشر سنين على «الصحيح» فربي في حجر النبي ﷺ ولم يفارقه، وشهد المشاهد كلها إلا غزوة تبوك فقال له ﷺ بسبب تأخيره له بالمدينة «ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى» وزوّجه بنته فاطمة، اشتهر بالفروسية والشجاعة والإقدام، كان أحد الشورى الستة الذين نص عليهم عمر وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة استشهد رضي الله عنه ليلة السابع عشر من شهر رمضان سنة أربعين من الهجرة ومدة خلافته خمس سنين إلا ثلاثة أشهر ونصف الشهر. [انظر «الإصابة» (٤/ ٤٦٤) و«البداية والنهاية» (٧/ ٢٢٣) بتصرف واختصار].

الناس وأقومهم بعد النبيّ المصطفى ﷺ «وزيراه» أبوبكر وعمر، ثم عثمان، ثم علي بن أبي طالب ﵃ أجمعين، وعن سائر الصحابة الغُرّ الميامين؛ الأنصار منهم والمهاجرين رضي الله عنهم وأرضاهم أجمعين.

وَإِنَّهُمْ لَلرَّهْطُ لَا رَيْبَ فِيهِمُ ‏ ‏ ‏ ‏ عَلَى نُجُبِ الْفِرْدَوْسِ بِالنُّورِ تَسْرَحُ

قوله ﵀: «وإنهم للرّهط لا ريب فيهم»... إلخ البيتين، أي: العشرة الكرام المبشرين بالجنة وهم: أبو بكر الصديق، وعمر الفاروق، وعثمان ذو النورين، وعلي المرتضى ذو السبطين، وسعيد ابن زيد القرشي العدوي[١]، وسعد بن أبي وقاص القرشي[٢]، وعبد الرحمن بن عوف القرشي وأحد الشورى الستة[٣]، وأبو عبيدة

(١) هو الصحابي الجليل سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل العدوي القرشي أبو الأعور من خيار الصحابة، هاجر إلى المدينة، أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وشهد المشاهد كلها إلا بدرًا وكان غائبًا في مهمة أرسله بها النبيّ ﷺ، كان من ذوي الرأي والبسالة، شهد اليرموك وحصار دمشق، وولّاه أبو عبيدة دمشق، ولد بمكة سنة ٢٢ قبل الهجرة وتوفي بالمدينة سنة (٥١هـ) [انظر «الأعلام» للزركلي (٣/ ٩٤)].

(٢) هو سعد بن أبي وقاص مالك بن أهيب بن عبد مناف القرشي الزهري أبو إسحاق الصحابي الجليل أسلم وعمره ١٧ سنة وشهد بدرًا، أحد العشرة المشهود لهم بالجنة وآخرهم موتًا، كان أحد الفرسان وأول من رمى بسهم في سبيل الله وأحد الستة أهل الشورى الذين سماهم عمر، وقال: إن أصابته الإمرة فذاك وإلا فليستعن به الوالي، وكان رأس من فتح العراق وولي الكوفة لعمر ووليها لعثمان، كان ﵁ مستجاب الدعوة بدعوة المصطفى ﷺ له: «اللهم استجب لسعد إذا دعاك» مات سنة (٥٥هـ) ﵁ وأرضاه [انظر «فضائل الصحابة» (٢/ ٩٣٥) - الحاشية (٤)-، «أسد الغابة» (٢/ ٢٩٠)].

(٣) هو الصحابي الجليل عبدالرحمن بن عوف بن عبدعوف بن عبدالحارث بن زهرة بن كلاب القرشي الزهري أبو محمد من أكابر الصحابة وأحد المبشرين بالجنة وأحد الستة أصحاب الشورى الذين جعل عمر الخلافة فيهم شهد مع النبي ﷺ بدرًا وسائر المشاهد ولد بعد عام=

عامر بن الجراح القرشي الفهري أمين هذه الأمة[١]، والزبير بن العوام حواري رسول الله ﷺ وابن عمته وهو من أهل الشورى أيضًا[٢]، وطلحة بن عبيد الله[٣] رضي الله عنهم أجمعين.

وقوله: «على نُجُب الفردوس بالنور تسرح» ثناء عليهم، وبيان لذكر ثوابهم وتكريم الله لهم في الجنة، بأن تكون لهم مراكب يركبونها

= الفيل بعشر سنين وأسلم قديمًا وهاجر الهجرتين، كان اسمه في الجاهلية عبدالكعبة أو عبد عمرو فسماه الرسول ﷺ بعبد الرحمن توفي سنة (٣٢هـ) ﵁ وأرضاه. [انظر «فضائل الصحابة» (٢/ ٩٠٨)- الحاشية (١)-].

(١) هو الصحابي الجليل عامر بن عبدالله بن الجراح بن هلال بن أهيب ويقال: وهيب بن ضبة بن الحارث ابن فهر القرشي الفهري المشهور بكنيته أبي عبيدة بن الجراح الصحابي السابق إلى الإسلام أحد العشرة المبشرين بالجنة شهد مع النبي ﷺ المشاهد كلها وولاه عمر قيادة الجيش الزاحف إلى الشام بعد خالد بن الوليد فتم له فتح الديار الشامية لقبه النبي ﷺ بأمين هذه الأمة توفي ﵁ بطاعون عمواس بالشام سنة (١٨هـ) ﵁ وأرضاه. [انظر «فضائل الصحابة» (٢/ ٩٢٢)-الحاشية(١)-].

(٢) هو الصحابي الجليل الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبدالعزى بن قصي بن كلاب القرشي الأسدي أبو عبدالله حواري رسول الله ﷺ وابن عمته صفية بنت عبد المطّلب الصحابي الشجاع المقدام أحد العشرة المبشرين بالجنة وأحد الستة أصحاب الشورى لانتخاب الخليفة بعد عمر، هو أول من سلّ سيفه في الإسلام شهد بدرًا وأحدًا وسائر المشاهد مع رسول الله ﷺ كان موسرًا وله ألف مملوك، قتله ابن جرموز غيلة بعد الجمل بوادي السباع في جمادى الأولى سنة (٣٦هـ). [انظر «فضائل الصحابة» (٢/ ٩١٤)- الحاشية (١)-].

(٣) الصحابي الجليل طلحة بن عبيد الله بن عثمان التيمي القرشي المدني أبو محمد، شجاع من الأجواد وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة وأحد الستة أصحاب الشورى الذين سماهم عمر، قال ابن عساكر: كان من دهاة قريش وعلمائهم، أسلم قديمًا وكان يقال له طلحة الجود وطلحة الخير وطلحة الفياض، شهد أحدًا وثبت مع رسول الله ﷺ وبايعه على الموت وشهد الخندق وسائر المشاهد استشهد يوم الجمل سنة (٣٦هـ). [انظر «فضائل الصحابة» (٢/ ٩٢٨ - ٩٢٩) - الحاشية (١)-و«تهذيب ابن عساكر» (٧/ ٧١)].

تطير بهم في الجنة حيث شاؤوا وأنّى أرادوا.

وقد جاء في «المسند» و«السنن» ذكر عدد العشرة المبشرين بالجنة فيما رواه سعيد بن زيد رضي الله عنه قال: أشهد على رسول الله ﷺ أني سمعته يقول: «**عَشَرَةٌ فِي الجَنَّةِ: النَّبِيُّ فِي الجَنَّةِ، وَأَبُو بَكْرٍ فِي الجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الجَنَّةِ، وَطَلْحَةُ فِي الجَنَّةِ، والزُّبَيْرُ بْنُ العَوَّامِ فِي الجَنَّةِ، وَسَعْدُ بْنُ مَالِكٍ فِي الجَنَّةِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي الجَنَّةِ، وَلَوْ شِئْتُ لَسَمَّيْتُ العَاشِرَ**»، قال: فقالوا: من هو؟ فسكت، قال: فقالوا: من هو؟ فقال: «هو سَعِيدُ بنُ زَيْدٍ»، وقال: «لَمَشْهَدُ رَجُلٍ مِنْهُمْ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يغبّر فيه وجهه خَيْرٌ مِنْ عَمَلِ أَحَدِكُمْ عُمُرَه وَلَوْ عُمِّرَ عُمُرَ نُوحٍ»[1]، وفي الترمذي من حديث عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَبُو بَكْرٍ فِي الجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الجَنَّةِ، وَطَلْحَةُ فِي الجَنَّةِ، وَالزُّبَيْرُ فِي الجَنَّةِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْن عَوْفٍ فِي الجَنَّةِ، وَسَعْد بن أَبِي وَقَّاصٍ فِي الجَنَّةِ، وَسَعِيد بْن زَيْدٍ فِي الجَنَّةِ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْن الجَرَّاحِ فِي الجَنَّةِ**»[2] رضي الله عنهم أجمعين.

(١) أخرجه أحمد: ١/ ١٨٨(١٦٣١) و١/ ١٨٨ (١٦٣٧)، وأبو داود: السنة، في الخلفاء؛ برقم (٤٦٤٩) و(٤٦٥٠) واللفظ له، والترمذي: المناقب، باب مَنَاقِبِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ الزُّهْرِيِّ رضي الله عنه؛ برقم (٣٧٤٨)، وابن ماجه: المقدمة، باب فَضَائِلِ الْعَشَرَةِ رضي الله عنهم؛ برقم (١٣٤). وانظر صحيح الجامع [(٢/ ٧٧٢)(٤٠١٠)] للشيخ الألباني.

(٢) أحمد في «المسند» (١/ ١٩٣)، وأخرجه الترمذي في الباب السابق حديث رقم (٣٧٤٧). وانظر صحيح الجامع [(١/ ٧١) رقم(٥٠)] للشيخ الألباني.

وَقُلْ خَيْرَ قَوْلٍ فِي الصَّحَابَةِ كُلِّهِمْ ... وَلَا تَكُ طَعَّانًا تَعِيبُ وَتَجْرَحُ

فَقَدْ نَطَقَ الْوَحْيُ الْمُبِينُ بِفَضْلِهِمْ ... وَفِي الْفَتْحِ آيٌ فِي الصَّحَابَةِ تَمْدَحُ

في هذين البيتين وصيّة قيّمة تتعلّق بحق الصحابة الكرام الناصرين لدين الإسلام عليهم رضوان الملك العلّام، وحقًّا إن عقيدة أهل السنة والجماعة احترام أصحاب النبيّ ﷺ جميعًا المتقدّم والمتأخر، ومحبّتهم واجبة بنصوص الكتاب والسنة، والترضي عنهم والاعتراف لهم بالفضل خلقُ المتقين وسلوك الموحّدين وجماعة المسلمين، بخلاف أهل البدع كالخوارج الذين كفّروا عليًّا ومن معه، وكالرافضة[1] الذين غلوا فيه حتى رفعوه هو وأهل البيت فوق منزلتهم ظلمًا منهم وعدوانًا، وجفوا الصحابة الأفاضل؛ فصاروا بذلك من أهل الغلو ومن أهل الجفاء، وكلّ رزية تليق بجنابهم.

وقوله رحمه الله: «**ولا تك طعّانًا تعيب وتجرح**» أي: احذر أن تعيبهم وتجرحهم كما فعلت الخوارج والروافض؛ إذ هم لا يستحقّون العيب ولا الجرح بل يجب احترامهم وذكر محاسنهم، والاعتراف بفضلهم الذي لا يخفى على ذوي العقول السليمة والعقيدة المستقيمة، فتبًّا ثمّ

(١) الرافضة هي طائفة من الطوائف الشيعية ذات الأفكار والآراء الاعتقادية الفاسدة فهم الذين رفضوا خلافة الشيخين وأكثر الصحابة، وزعموا أن الخلافة في عليّ وذريته من بعده بنص من النبي ﷺ وسمّوا بالرافضة؛ قيل لأنهم رفضوا إمامة زيد بن علي، وقيل لرفضهم إمامة أكثر الصحابة ومنهم الشيخين، وقيل لرفضهم الدين. من أشهر فرقهم «الشيعة الاثنا عشرية - المحمدية - الشيخية - الرشتية»، من معتقداتهم الفاسدة زعمهم أن الله تجلى في علي وفي أولاده الأحد عشر وأنهم مظاهر الله وأصحاب الصفات الإلهية، ودعواهم عصمة الأئمة والأوصياء، وموقفهم الباغض للصحابة، وقولهم بالبداء على الله تعالى، والظهور بعد الخفاء كما قالت اليهود. [بتصرف من «فرق معاصرة» (١/ ١٦٣) وما بعدها].

تبًّا للخوارج والروافض الذين سلكوا المسالك الوعرة في حقهم، وطوبى للصحابة الكرام وأتباعهم من الأنام؛ الذين اعتصموا بالدين القويم والمنهج المستقيم؛ فنالوا رضا الرحمن الرحيم.

فَقَدْ نَطَقَ الْوَحْيُ الْمُبِينُ بِفَضْلِهِمْ ... وَفِي الْفَتْحِ آيٌ فِي الصَّحَابَةِ تَمْدَحُ

وقوله:

فَقَدْ نَطَقَ الْوَحْيُ الْمُبِينُ بِفَضْلِهِمْ ... وَفِي الْفَتْحِ آيٌ فِي الصَّحَابَةِ تَمْدَحُ

يعني: أن الله ﷻ أثنى عليهم في القرآن بقوله الحق: ﴿وَالسَّٰبِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَٰجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠] ومثل هذا الثناء عليهم ما جاء في آخر سورة الفتح فقد ضرب الله لهم مثلين عجيبين إذ قال الله تعالى: ﷻ ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ٢٩]، إذ في هذه الجمل الكريمات التي ختمت بها السورة نعت لهم وبيان لفضلهم لذا قال المؤلف: «وفي الفتح آي للصحابة تمدح»، كما مدحهم الله ورضي عنهم في آية قبل هذه وهي قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ١٨].

وَبِالْقَدَرِ الْمَقْدُورِ أَيْقِنْ فَإِنَّهُ ... دِعَامَةُ عَقْدِ الدِّينِ وَالدِّينُ أَفْيَحُ

وبعد أن بيّن المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ فضل الخلفاء الراشدين وفضل الصحابة أجمعين، بيّن عقيدة أهل السنة والجماعة في الإيمان بالقدر فقال:

وَبِالْقَدَرِ الْمَقْدُورِ أَيْقِنْ فَإِنَّهُ ... دِعَامَةُ عَقْدِ الدِّينِ وَالدِّينُ أَفْيَحُ

والمراد بالقدر هو: تقدير الله - تبارك وتعالى - لجميع مخلوقاته؛ لذواتهم وأعمالهم وأحوالهم ومآلهم ومتقلّبهم ومثواهم، وأن ذلك كائن كما قدّر الله - تبارك وتعالى - في الأزل يوم جرى القلم بما هو كائن إلى قيام الساعة، فوجب الإيمان به؛ لأنه أحد أركان الإيمان الستة، ولا يجوز أن يشكّ في القدر أحد، وما ذلك إلا لجلالة قدر هذا الركن وأن منزلته من الدين عظيمة، ولا يتم إيمان عبد إلا أن يؤمن بالقدر خيره وشره، حلوه ومرّه، وفق ما جاءت به النصوص من الكتاب والسنة؛ قال ﷻ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]، وقال النبيّ الكريم ﷺ في عدّ أركان الإيمان: «**وَأَنْ تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ مِنَ اللهِ تَعَالَى**[1]».

وَلَا تُنْكِرَنَّ جَهْلًا نَكِيرًا وَمُنْكَرًا ... وَلَا الْحَوْضَ وَالْمِيزَانَ إِنَّكَ تُنْصَحُ

وقول المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وَلَا تُنْكِرَنَّ جَهْلًا نَكِيرًا وَمُنْكَرًا ... وَلَا الْحَوْضَ وَالْمِيزَانَ إِنَّكَ تُنْصَحُ

فيه تحذير من إنكار ثلاثة أشياء: «منكر ونكير، والحوض،

---

(١) قطعة من حديث جبريل المشهور الذي سبق تخريجه ص (٢٨).

والميزان» وهذه الثلاثة الأشياء لا يجوز إنكارها لتصريح النصوص بثبوتها، بل يجب الإيمان بها جميعًا؛ قال ﷻ في شأن الميزان: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧]، والميزان: له كفّتان توزن فيهما الحسنات والسيئات، وصحائف الأعمال والعاملون، وأما منكر ونكير والحوض العظيم؛ فذلك ثابت بنصوص السنة الصحيحة الصريحة، ومنها ما جاء في «الصحيحين» من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«إِنَّ العَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ، وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ، أَتَاهُ مَلَكَانِ فَيُقْعِدَانِهِ فَيَقُولَانِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ - لمحمد ﷺ - ؟ فَأَمَّا المُؤْمِنُ فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ فَيُقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ فِي النَّارِ أَبْدَلَكَ اللهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الجَنَّةِ فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا، وَأَمَّا المُنَافِقُ وَالكَافِرُ فَيُقَالُ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي، كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ، فَيُقَالُ: لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ وَيُضْرَبُ بِمَطَارِقَ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ غَيْرَ الثَّقَلَيْنِ»**(1) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبيّ ﷺ: **«إِذَا قُبِرَ المَيِّتُ أَوِ الإِنْسَانُ أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ يُقَالُ لأَحَدِهِمَا: المُنْكَرُ، وَلِلآخَرِ: النَّكِيرُ فَيَقُولَانِ: مَا كُنْتَ**

(1) البخاري: الجنائز، باب ما جاء في عذاب القبر؛ برقم (١٣٧٤)، ومسلم: الجنّة وصفة نعيمها وأهلها؛ باب عَرْضِ مَقْعَدِ الْمَيِّتِ مِنَ الْجَنَّةِ أَوْ النَّارِ عَلَيْهِ، وَإِثْبَاتِ عَذَابِ الْقَبْرِ وَالتَّعَوُّذِ مِنْهُ؛ برقم (٢٨٧٠).

وأخرجه أحمد: ٣/ ١٢٦(١٢٢٩٦) و٣/ ٢٣٣(١٣٤٨٠) وأبو داود: شرح السنة، في المسألة في القبر وعذاب القبر، برقم (٤٧٥١)، والنسائي: الجنائز، مسألة الكافر؛ برقم (٢٠٤٩ و٢٠٥٠ و٢٠٥١).

تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ مَا كَانَ يَقُولُ: هُوَ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولَانِ: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ هذا، ثُمَّ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا فِي سَبْعِينَ، ثُمَّ يُنَوَّرُ لَهُ فِيهِ، ثُمَّ يُقَالُ: نَمْ، فَيَقُولُ: أَرْجِعُ إِلَى أَهْلِي فَأُخْبِرَهُمْ، فَيَقُولَانِ: نَمْ كَنَوْمَةِ العَرُوسِ الَّذِي لَا يُوقِظُهُ إِلَّا أَحَبُّ أَهْلِهِ إِلَيْهِ، حَتَّى يَبْعَثَهُ اللهُ مِن مَضْجَعِهِ ذَلِكَ، وَإِنْ كَانَ مُنَافِقًا قَالَ: سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ قَوْلًا فَقُلْتُ مِثْلَهُ لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ ذَلِكَ، فَيُقَالُ لِلأَرْضِ: التَئِمِي عَلَيْهِ، فَتَلْتَئِمُ عَلَيْهِ، فَتَخْتَلِفُ أَضْلَاعُهُ، فَلَا يَزَالُ فِيهَا مُعَذَّبًا حَتَّى يَبْعَثَهُ اللهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ»(1).

وجاء في الحوض ما ثبت عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال النبيّ ﷺ: **«حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ مَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ المِسْكِ وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ مَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَا يَظْمَأُ أَبَدًا»**(2).

(1) رواه الترمذي: الجنائز، باب مَا جَاءَ فِي عَذَابِ الْقَبْرِ، رقم (١٠٧١)، والحارث في مسنده (٢٨٠- بغية الباحث)، وابن أبي عاصم في السنة (٢/ ٤١٦ برقم ٨٦٤)، والبزار برقم (٨٤٦٢)، وابن حبان (٧٨٠- الموارد)، والآجري في الشريعة (ص٣٦٥)، والبيهقي في إثبات عذاب القبر (ص ٥٦)، وابن أبي الدنيا في كتاب القبور كما في إتحاف السادة المتقين: (١٠/ ٤١٣).

قال الترمذي: حديث حسن غريب، وقال الألباني في الصحيحة (٣/ ٣٨٠): «إسناده جيد». وقال في صحيح الجامع (١/ ١٨٦/ رقم٧٢٤): حسن.

ونقل ابن القيم في «الروح» (ص ٧٣- ابن حزم) عن الإمام أحمد التصريح باسم الملكين منكر ونكير؛ قال أحمد بن القاسم: قلت: يقولون: ليس في حديث منكر ونكير، قال: هو هكذا؛ يعني أنهما منكر ونكير..

(2) أخرجه البخاري في «صحيحه»: كتاب الرقاق، باب في الحوض وقول الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾، رقم (٦٥٧٩)، ومسلم في «صحيحه»: كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا وصفاته، رقم (٢٢٩٢).

وَقُلْ يُخْرِجُ اللَّهُ الْعَظِيمُ بِفَضْلِهِ ... مِنَ النَّارِ أَجْسَادًا مِنَ الْفَحْمِ تُطْرَحُ
عَلَى النَّهْرِ فِي الْفِرْدَوْسِ تَحْيَا بِمَائِهِ ... كَحَبِّ حَمِيلِ السَّيْلِ إِذْ جَاءَ يَطْفَحُ

في هذين البيتين بيان لما يصنع اللَّه بعصاة الموحّدين الذين أكلت النار أجسادهم إلا مواضع السجود فإن اللَّه حرم على النار أن تأكل مواضع السجود فهو سبحانه يخرجهم بفضله ورحمته؛ فقد جاء في «الصحيحين» من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبيِّ ﷺ: **«أَنَّ اللَّه تَعَالَى يَقُولُ: شَفَعَ الْمَلَائِكَةُ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ، وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ فَيَخْرُجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ قَدْ عَادُوا حِمَمًا فَيُلْقِيهِمْ فِي نَهْرٍ فِي أَفْوَاهِ الْجَنَّةِ يُقَالُ لَهُ: (نَهْرُ الحَيَاةِ) فَيَخْرُجُونَ كَمَا تَخْرُجُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ»**[1].

قوله: «على النهر في الفردوس» أي: يضعهم في نهر من أنهار الجنة يحيون بمائه بمعنى: ينبتون نباتًا.

وقوله - رحمه اللَّه تعالى -: «كحب حميل السيل إذ جاء يطفح»: أي ينبتون كالزرعة الصغيرة في جنب الوادي فإذا اكتملت أجسادهم أعاد اللَّه إليهم أرواحهم وأدخلهم ﷻ الجنة رحمةً منه وفضلًا، وهو أرحم الراحمين.

وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ لِلْخَلْقِ شَافِعٌ ... وَإِنَّ عَذَابَ الْقَبْرِ بِالْحَقِّ مُوَضَّحُ
وَلَا تُكفِرَن أَهْلَ الصَّلَاةِ وَإِنْ عَصَوْا ... فَكُلُّهُمْ يَعْصِي وَذُو الْعَرْشِ يَصْفَحُ

(١) أخرجه أحمد ٣/ ٩٤(١١٩٢٠)، والبخاري: في كتاب التوحيد، باب قَوْلِ اللَّه تَعَالَى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾، برقم (٧٤٣٩)، ومسلم: الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، برقم (١٨٣)، من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ.

وفي قوله: «وإن رسول اللَّه للخلق شافع» أي: إن الرسول - عليه الصلاة والسلام - يشفع في عصاة الموحدين، ويشفع في رفع درجات المؤمنين، ويشفع في دخول الجنة لأهلها كما قال النبيّ ﷺ: **«جُعِلَتْ شَفَاعَتِي لأَهْلِ الكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي»**[1].

وفي قوله: «وإنَّ عذاب القبر بالحق» أي أن نعيم القبر حق لأهل الإيمان والتقوى، وإن عذاب القبر حق لأهل الإجرام والفساد؛ كما قال اللَّه ﷻ: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧] وهذه الآية قيل: إنها نزلت في نعيم القبر وعذابه، فالتثبيت من اللَّه لأهل الإيمان عند سؤال منكر ونكير كما مضى معنا عند قول المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَلَا تُنْكِرَنَّ جَهْلًا نَكِيرًا وَمُنْكَرًا ... وَلَا الْحَوْضَ وَالْمِيزَانَ إِنَّكَ تُنْصَحُ

وقوله: «ولا تكفرن أهل الصلاة وإن عصوا» أي: لا يجوز لأحدٍ أن يكفّر بالمعاصي التي دون الشرك الأكبر وترك الصلاة جحدًا لوجوبها، وأما مرتكبو المعاصي التي دون الشرك ودون ترك الصلاة جحدًا لوجوبها، فهم عصاة ولكن لا يحكم عليهم بالكفر عند جمهور العلماء، وإذا دخلوا النار فإن اللَّه ﷻ يخرجهم بفضله ورحمته، ثم بشفاعة الشافعين من النار إلى الجنة فيكون مآلهم الجنة؛ كما دلّت عليه

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٢٣٠)، وأبو داود في السنة، باب في الشفاعة (ج٤ رقم ٤٧٣٩)، والترمذي في صفة يوم القيامة (ج٤ رقم ٢٤٣٧) وهو حديث صحيح بشواهده وطرقه، انظر «جامع الأصول» (رقم ٦٧٦٨و٨٠١٢ و٨٠١٣). وأورده الألباني في «صحيح موارد الظمآن. .» [(٢/ ٥١٧ - ٥١٨) برقم(٢١٩٧/ ٢٥٩٦)] من حديث أنس ﷺ، وقال: صحيح. وبرقم (٢١٩٨/ ٦٤٣٣) عن جابر، وقال: صحيح لغيره.

النصوص من الكتاب والسنة، وقد استند إليها صاحب القصيدة فقال:

وَقُلْ يُخْرِجُ اللهُ الْعَظِيمُ بِفَضْلِهِ ... مِنَ النَّارِ أَجْسَادًا مِنَ الْفَحْمِ تُطْرَحُ

عَلَى النَّهْرِ فِي الْفِرْدَوْسِ تَحْيَا بِمَائِهِ ... كَحبِّ حَمِيلِ السَّيْلِ إِذْ جَاءَ يَطْفَحُ

فأهل السنة والجماعة يثبتون الشفاعة في عصاة الموحدين، ولا يحكمون بالخلود في النار إلا على أهل الشرك الأكبر والكفر الأكبر والنفاق الاعتقادي والإلحاد المخرج من ملّة الإسلام، وأما المعاصي ككبائر الذنوب كالزنا والسرقة وشرب الخمر ونحوها؛ فهي وإن كانت موبقات توبق أصحابها في النار إلا أنهم ليسوا من أهل الخلود في النار، بل يلبثون فيها بقدر معاصيهم، ويصفح الله ﷻ عنهم، ويخرجهم من النار إلى الجنة رحمة منه وفضلًا، لذا قال المؤلف: «فكلهم يعصي» أي: كل الناس تقع منهم المعاصي وهم بين مستقل منها ومستكثر ومنهم التائب ومنهم المصرّ.

قوله: «وذو العرش يصفح» أي: صاحب العرش وهو الله جل في علاه، يتجاوز عن أهل التوحيد فقد لا يعذّبهم مطلقًا، وقد يعذّبهم بقدر ما جنوا، ويخرجهم من النار ويدخلهم الجنة كما أسلفت قريبًا وله الفضل والمنة. والله أعلم.

وَلَا تَعْتَقِدْ رَأْيَ الْخَوَارِجِ إِنَّهُ ... مَقَالٌ لِمَنْ يَهْوَاهُ يُرْدِي وَيَفْضَحُ

موضوع هذه العقيدة الذي تضمنته القصيدة من بدايتها إلى نهايتها هو: بيان منهج أهل السنة والجماعة في صحة الاعتقاد، وصواب المنهج والسلوك، مع بيان معتقد ومنهج من يخالفهم في معتقدهم ومنهجهم، وكم لهم من فرق هالكة مخالفة كما في حديث

الافتراق[1]. ومن جملة الفرق المخالفة لأهل السنة والجماعة في العقيدة والمنهج: الخوارج، ومذهبهم رديء مذموم لما يترتب عليه من الأضرار الدينية والدنيوية والفساد في الأرض - قاتلهم الله أنّى يؤفكون -، لذا حذر منه علماء السنة والمؤلفون في كتب العقائد، ومن جهابذة المؤلفين في الإشادة بمذهب السلف وإيضاحه والرد على مخالفيهم: صاحب هذه التحفة في بيان مذهب أهل السنة والجماعة وبيان مذهب من يضادّهم ويخالفهم، ومنهم الخوارج الذين خالفوا أهل السنة في أمور كثيرة وخطيرة منها:

أ - أنهم يكفّرون بالمعاصي التي دون الشرك الأكبر: وذلك أن من مات على كبيرة من كبائر الذنوب دون الشرك الأكبر ودون كل عمل مخرج من الملّة ولم يتب؛ فهو عندهم في النار خالد مخلّد؛ بناءً على إنكارهم الشفاعة في عصاة الموحّدين، وهم بهذا المعتقد الفاسد ينكرون أدلّةً معلومةً من الدين بالضرورة، فكم من نصوص وردت في إثبات الشفاعة من القرآن والسنة في عصاة الموحّدين، قال الله ﷻ: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [الزمر:

(١) وهو حديث الافتراق الذي رواه أبو هريرة ﷺ عن النبيّ ﷺ أنه قال: «تفرّقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة أو اثنتين وسبعين فرقة، والنصارى مثل ذلك، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة» أخرجه أحمد (٢/ ٣٣٢)، وأبو داود: السنة، شرح السنة، رقم (٤٥٩٦)، والترمذي: الإيمان، باب في افتراق الأمة، رقم (٢٦٤٠) وقال: «حسن صحيح»، وابن ماجه: الفتن، باب افتراق الأمم، رقم (٣٩٩١)، وصححه ابن حبان (١٤/ ١٤٠، رقم ٦٢٤٧)، والحاكم (١/ ٤٧، رقم ١٠) و(١/ ٢١٧، رقم ٤٤١) وقال: «على شرط مسلم». ووافقه الذهبي. وأورده الألباني في الصحيحة (٢٠٣). ولهذا الحديث عدة طرق وعدة ألفاظ.

٤٤] وقال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] فعلم من هذه الآيات المحكمات بأن الله يأذن للمؤمنين في الشفاعة ليشفعوا في عصاة الموحدين، أما الخوارج فإنهم حكموا على مرتكبي الكبائر بالكفر في الدنيا والآخرة، ومن ثمّ الخلود في النار في الدار الآخرة.

ب - ومن أشهر مناهجهم: **الخروج على أئمة المسلمين إذا وقعوا في معصية ما**؛ فإنهم يخرجون عليهم ولو قُطعت رقابهم تنفيذًا للأصل الذي هم عليه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويرون أن الخروج على الحاكم المسلم إذا عصى واجب وركن من أركان الإيمان عندهم، وقد خرجوا في أوقات متعدّدة: في عهد أصحاب النبيّ ﷺ جرى منهم ما جرى مما حفظته وثائق التاريخ، وانتقم الله منهم بسيوف أوليائه وخرجوا بعد ذلك مرات ومرات، وكلما طلع قرن قطعه لله، وفي هذا الزمن، وفي هذه البلاد المملكة العربية السعودية بالذات قد ظهر الخوارج الجدد وأعني بهم: الفئة الضالة التي كفّرت المسلمين من حكّام ومحكومين وعلماء ومتعلّمين؛ فاستباحوا الدماء، وأهدروا الأموال كأسلافهم الأوائل، بل زادوا عليهم في الفساد والإجرام فلم يسلم منهم أحد، بل ألحقوا بضررهم كل مسلم ومسلمة حتى أنفسهم بادروا بها إلى النار فما بالك بغيرهم، غير أن النصوص تبشّر بأن نهايتهم إلى الخيبة والفشل والدمار، وأنه لا يمكن أن تقوم على أيديهم دولة ولا صلاح ولا إصلاح، ورحم الله ابن حزم حيث قال في أهل البدع: «واعلموا رحمكم الله أن جميع فرق الضلالة لم يجر

الله على أيديهم خيرًا، ولا فتح بهم من بلاد الكفر قرية، ولا رفع للإسلام راية، وما زالوا يسعون في قلب نظام المسلمين، ويفرقون كلمة المؤمنين، ويسلون السيف على أهل الدين، ويسعون في الأرض مفسدين»(١)، قلت: ولا يستغرب ذلك منهم فقد وصفهم النبيّ ﷺ بأنهم **«كِلَابُ النَّارِ»**(٢)، نعم لا يستغرب منهم ذلك وأخزى منه، فهم يفسدون في الأرض ولا يصلحون قد استحلّوا القتل في المسلمين في هذه البلاد والمستأمنين والمعاهدين، واستحلّوا قتل الجنود حماة الوطن وحرّاس العقيدة، بدون خوف من الله ولامبالاة بعقوبة الله ﷻ، وقد جاء في الآثار الصحيحة أن الخوارج كلما طلع منهم قرن قطعه الله(٣)، وهذا القرن بحول الله وقوّته ستكون نهايتهم قريبة على أيدي الصالحين أو غيرهم من أهل الأرض، ومن مات من الجنود أو غيرهم من المواطنين المسلمين فحظّه طيب قد بشّره النبيّ ﷺ بقوله: **«طُوبَى لِمَنْ قَتَلُوهُ أَوْ قَتَلَهُمْ»**(٤)، فمن كان من أهل التوحيد والصلاة فقتله هؤلاء السفهاء الخوارج فهو إلى خير ومات بأجله ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [المنافقون: ١١].

لذا حذّر العلماء من معتقد الخوارج الفاسد، ومنهجهم العملي الخطير، وسلوكهم المنحرف، وأفكارهم الخائبة، ومن جملة من حذّر

(١) انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل (٤/ ١٧١- الخانجي).

(٢) كما في الحديث الثابت عن النبي ﷺ الذي سبق تخريجه ص(٢٠)، وانظر أوضح المعاني ص (ص٢٩٦ و٢٩٨).

(٣) سبق تخريجه ص(٢٧) وانظر أوضح المعاني (ص١٤٤ و٢٩٧).

(٤) سبق تخريجه ص(٢١).

منهم صاحب هذه التحفة «القصيدة الحائية» إذ قال:

وَلَا تَعْتَقِدْ رَأْيَ الْخَوَارِجِ إِنَّهُ   مَقَالٌ لِمَنْ يَهْوَاهُ يُرْدِي وَيَفْضَحُ

وما ذلك إلا لأنه معتقد فاسد ومنهج سقيم، الباعث عليه الهوى الذي من اتبعه فقد وقع في طرق الردى، وافتضح أمره في الحال والمآل، وكما حذّر صاحب القصيدة من الخوارج فقد حذر من فرقة أخرى هي المرجئة.

فقال:

وَلَا تَكُ مُرْجِيًا لَعُوبًا بِدِينِهِ   أَلَا إِنَّمَا الْمُرْجِيُّ بِالدِّينِ يَمْزَحُ

والمرجئة التي حذّر منها صاحب القصيدة: طائفة من طوائف الضلال؛ وهم أنواع بعضهم أشدّ إثمًا من بعض، فالجهمية مرجئة؛ حيث فسّروا الإيمان بأنه مجرّد الاعتقاد بالقلب أي: من اعتقد بقلبه ولو لم يعمل شيئًا من الفرائض والواجبات ولو لم يجتنب شيئًا من المحرمات فهو عندهم مؤمن كامل الإيمان، ويلزم على قولهم هذا أن إبليس مؤمن كامل الإيمان؛ لأنه مقرّ بربه كما قال تعالى مخبرًا عنه: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الحجر: ٣٦]، وهذا معتقد فاسد كما ترى، لأن اللَّه - تبارك وتعالى - رتب الجزاء الحسن على فعل الطاعات وترك المنكرات، وتوعّد بالنار أهل المعاصي والغفلات، وإن أقرّوا بربوبية ربّ الأرض والسموات.

وفرقة أخرى من أهل الإرجاء: عرّفوا الإيمان بأنه النطق باللسان فقط، وهم «الكرّامية» حيث قالوا: من نطق بلسانه ولو لم يعمل شيئًا ولو لم يعتقد بقلبه أحقيّة ما نطق به، فهو - أي عندهم - مؤمن كامل

الإيمان، لكن إذا كان مقرًّا بقلبه فهو من أهل الجنة، وإن كان مكذِّبًا بقلبه كان منافقًا مؤمنًا من أهل النار، فيلزم على قولهم هذا: أن المنافقين الذين توعّدهم اللَّه ﷻ بالدرك الأسفل من النار أنهم مؤمنون.

ومنهم مرجئة: عرّفوا الإيمان بأنه قول واعتقاد، واختزلوا منه العمل فقالوا: إن العمل لا يدخل في مسمّى الإيمان، وهؤلاء - وإن كانوا أخفّ من مرجئة الجهمية ومرجئة الكرّامية - إلا أنهم خالفوا أهل السنة والجماعة باختزالهم العمل من مسمّى الإيمان بدون برهان من عقل أو نقل، ومن ذلك مرجئة الفقهاء.

وأما أهل السنة والجماعة فهم الذين وفّقوا للقول الصائب الذي تؤيّده نصوص الكتاب والسنة في تعريف الإيمان فبرئوا من مذهب الخوارج والمرجئة والأشاعرة ومرجئة الفقهاء ومن لفّ لفّهم حيث قالوا: «الإيمان قول باللسان» كالنطق بالشهادتين وغيرهما «واعتقاد بالقلب» أي: يعتقد بقلبه ما نطق به لسانه مما يجب اعتقاده مما وردت به النصوص، «وعمل بالجوارح» كالصلاة والصوم والجهاد وغير ذلك من أعمال البرّ، «يزيد بالطاعة» كما قال اللَّه ﷻ: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الفتح: ٤]، «وينقص بالمعصية» كما قال ﷺ: **«لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلَا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ»**(١) أي: كامل الإيمان بل معه إيمان ولكنه ليس كاملًا، فمن

(١) سيأتي تخريجه إن شاء اللَّه قريبًا.

خالف أهل السنة والجماعة السلف الصالح وأتباعهم فهو من الأصناف المنحرفة في هذا الباب، وأمره إلى اللَّه يحكم فيه بحكمه العدل ولا يظلم ربك أحدًا.

لذا قال صاحب القصيدة رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَقُلْ إِنَّمَا الإِيمَانُ قَوْلٌ وَنِيَّةٌ   وَفِعْلٌ عَلَى قَوْلِ النَّبِيِّ مُصَرَّحُ

فقوله رَحِمَهُ اللَّهُ: **«وقل إنما الإيمان قول ونية»** أي قول باللسان ونية بالقلب؛ فهو قول اللسان وعمل القلب والجوارح «وفعل» أي: فعل الجوارح، فيزيد بالطاعات منها وينقص بالمعاصي كما مرّ بك قريبًا، وكما سيأتي زيادة بيانه إن شاء اللَّه تعالى.

وقوله رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَيَنْقُصُ طَوْرًا بِالْمَعَاصِي وَتَارَةً   بِطَاعَتِهِ يَنْمُو وَفِي الْوَزْنِ يَرْجَحُ

أشار المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ بهذا البيت إلى معتقد أهل السنة والجماعة في زيادة الإيمان بالطاعات ونقصانه بالمعاصي، فكلّما أكثر المؤمن من الطاعات ازداد إيمانه، وكلّما وقع في المعاصي نقص إيمانه؛ قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢] وقال سبحانه: ﴿لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ﴾ وقال تعالى: ﴿وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾، وقال النبيّ ﷺ: **«لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلَا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَةَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ وَالتَّوْبَةُ مَعْرُوضَةٌ بَعْدُ»**(١).

---

(١) أحمد: (٢/ ٢٤٣ و٣١٧ و٣٧٦ و٤٧٩)، والبخاري: في الأشربة، باب: وَقَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾، رقم (٥٥٧٨)=

وقوله رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَدَعْ عَنْكَ آرَاءَ الرِّجَالِ وَقَوْلَهُمْ   فَقَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ أَوْلَى وَأَشْرَحُ

معناه: أنه لا يجوز لأحد أن يعارض بأقوال الرجال النصوص من الكتاب والسنة، بل إذا جاء النص يجب العمل به، فإذا جاء ما يخالفه من أقوال الرجال فلا يجوز الالتفات إليه، مع الاعتذار لأئمة العلم من الفقهاء والمحدِّثين إذا خالفوا النصوص؛ لأن خلافهم للنصوص غير مقصود لهم، وإنما سبيله الاجتهاد عند غياب النص عنهم أو غير ذلك، وقد ألّف ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ كتابًا سماه «رفع الملام عن الأئمة الأعلام»؛ يعني الذين خالفوا النصوص بآرائهم فإن هؤلاء يجب الاعتذار لهم، ولا يدخل في ذلك أهل البدع؛ فإنه لا يعتذر لهم، وأعني بهم الذين قعّدوا قواعد البدع ودعوا الناس إليها؛ إما بمؤلفاتهم، وإما بأي طريق من الطرق التي فيها دعوة الناس إلى الضلال والعمل بالمحدثات.

وَلَا تَكُ مِنْ قَوْمٍ تَلَهَّوْا بِدِينِهِمْ   فَتَطْعَنَ فِي أَهْلِ الْحَدِيثِ وَتَقْدَحُ

إِذَا مَا اعْتَقَدْتَ الدَّهْرَ يَا صَاحِ هَذِهِ   فَأَنْتَ عَلَى خَيْرٍ تَبِيتُ وَتُصْبِحُ

* وفي قوله رَحِمَهُ اللَّهُ:

= و في الحدود، باب لا شرب الخمر، رقم (٦٨١٠)، ومسلم: الإيمان، باب بَيَانِ نُقْصَانِ الإِيمَانِ بِالْمَعَاصِي وَنَفْيِهِ عَنِ الْمُتَلَبِّسِ بِالْمَعْصِيَةِ عَلَى إِرَادَةِ نَفْيِ كَمَالِهِ، رقم (٥٧)، وأبو داود: السنة، باب الدَّلِيلِ عَلَى زِيَادَةِ الإِيمَانِ وَنُقْصَانِهِ، رقم (٤٦٨٩)، والنسائي: كتاب قطع السارق، باب تعظيم السرقة، رقم (٤٨٧٠-٤٨٧٢) وفي كتاب الأشربة، ذكر الروايات المغلظات في شرب الخمر، رقم (٥٦٥٩و٥٦٦٠)، والترمذي: رقم (٢٦٢٥) وابن ماجه: الفتن، باب النهي عن النهبة، رقم (٣٩٦٣)، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَلَا تَكُ مِنْ قَوْمٍ تَلَهَّوْا بِدِينِهِمْ ... فَتَطْعَنُ فِي أَهْلِ الْحَدِيثِ وَتَقْدَحُ

تحذير من الوقيعة في أهل الحديث وأهل الفقه في الدين، وقد ذكر السلف - رحمهم اللَّه - أن الوقيعة في أهل العلم من علامات أهل البدع، فلا تجد من يطعن في أهل الفقه في الدين وأهل حديث رسول اللَّه - عليه الصلاة والسلام - إلا مبتدع قد مُلئ قلبه بالحسد والحقد فباء بالخسران المبين.

* وختم ابن أبي داود هذه القصيدة بقوله:

إِذَا مَا اعْتَقَدْتَ الدَّهْرَ يَا صَاحِ هَذِهِ ... فَأَنْتَ عَلَى خَيْرٍ تَبِيتُ وَتُصْبِحُ

والمعنى: أنك أيها القارئ والسامع إذا اعتقدت ما جاء في القصيدة من أوّلها إلى آخرها فأنت على خير في ليلك ونهارك؛ لأنها تضمنت معتقد أهل السنة والجماعة كما تضمنت منهجهم العملي، ومما هو معلوم بدون شكّ أن أهل السنة والجماعة عقيدةً وعملًا يستندون إلى نصوص الكتاب والسنة بالفهم الصحيح في كل ما يأتون ويذرون، فوعد المؤلّف من اعتقد ما أملاه في هذه القصيدة من معتقد أهل السنة والجماعة ومنهجهم أنه يكون على خير في حاله ومآله وفي كل وقت وحين، وهو في وعده هذا قد استند إلى نصوص الكتاب والسنة بالفهم السليم، واللَّه أعلم، وفي كل شيء هو أحكم وبعباده أرحم.

وصلى اللَّه وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

* * *

ملحق

ويشتمل على:

أ - خطبة جمعة: «منهج الدعوة الحكيم والتنديد بحادث التفجير اللئيم»

ب - كلمة.

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

نص الخطبة التي ألقيت في جامع «المكتبة السلفية الخيرية» في محافظة صامطة يوم الجمعة الموافق ١٤٢٥/٣/٤هـ والتي بعنوان: «منهج الدعوة الحكيم والتنديد بحادث التفجير اللئيم»

إِنَّ الْحَمْدَ للهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أَمَّا بَعْدُ:

عِبَادَ اللهِ! أُوصِيكُمْ وَنَفْسِي بِتَقْوَى اللهِ ﷻ، فَقَدْ فَازَ وَسَعِدَ الْمُتَّقُونَ وَخَابَ وَخَسِرَ الْمُبْطِلُونَ، ثُمَّ اعْلَمُوا - رَحِمَكُمُ اللهُ - أَنَّ اللهَ الَّذِي خَلَقَ الْخَلِيقَةَ كَلَّفَ الْمُكَلَّفِينَ بِأَوَامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ، وَلَمْ يَكِلْهُمْ إِلَى عُقُولِهِمْ لِيَعْرِفُوهُ وَيُوَحِّدُوهُ وَيُقَدِّرُوهُ حَقَّ قَدْرِهِ، بَلْ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ رُسُلًا كِرَامًا وَبَعَثَ فِيهِمْ أَنْبِيَاءَ عِظَامًا، جَعَلَهُمْ أُمَنَاءَ عَلَى وَحْيِهِ وَوُسَطَاءَ فِي تَبْلِيغِ رِسَالَتِهِ، وَأَنْزَلَ عَلَى أُمَمِ الْأَرْضِ كُتُبًا فِيهَا تِبْيَانُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ، أَلَا وَإِنَّ خَيْرَ كِتَابٍ أُنْزِلَ عَلَى أَعْظَمِ نَبِيٍّ بُعِثَ وَأُرْسِلَ هُوَ كِتَابُ اللهِ الْفُرْقَانُ؛ الَّذِي قَالَ اللهُ تَعَالَى فِي حَقِّهِ: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١]، وَجَعَلَهُ شَرَفًا لَنَا وَفَخْرًا

مِنْ مَفَاخِرِنَا فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ﴾ [الزخرف: ٤٤]، وَتَعَبَّدَنَا بِتِلَاوَتِهِ وَفَهْمِ مَعَانِيهِ وَالْعَمَلِ بِمَا دَعَا إِلَيْهِ جُمْلَةً وَتَفْصِيلًا، فَهُوَ وَالسُّنَّةُ الْكَرِيمَةُ مَصْدَرُ حَيَاةِ الْقُلُوبِ وَالْأَرْوَاحِ، لَا حَيَاةَ لِلْبَشَرِيَّةِ إِلَّا فِي ظِلِّهِمَا الظَّلِيلِ، وَلَا سَعَادَةَ لَهُمْ إِلَّا بِالسَّيْرِ فِي خَطِّهِمَا الْمُسْتَقِيمِ؛ الَّذِي مَنْ سَلَكَهُ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى سَوَاءِ السَّبِيلِ، أَلَا وَإِنَّ مِنْ جُمْلَةِ مَا جَاءَ بِهِ هَذَا الْكِتَابُ وَفَصَّلَهُ لَنَا رَسُولُنَا مُحَمَّدٌ - عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَأَزْكَى التَّسْلِيمِ - تَفْصِيلًا جَلِيًّا هُوَ كَيْفِيَّةُ دَعْوَةِ الْخَلْقِ إِلَى رِحَابِ الْحَقِّ، تِلْكُمُ الدَّعْوَةُ الَّتِي هِيَ وَظِيفَةُ رُسُلِ اللهِ الْكِرَامِ وَأَنْبِيَائِهِ الْعِظَامِ وَصَفْوَةِ الْخَلْقِ مِنَ الْعُلَمَاءِ الرَّبَّانِيِّينَ؛ الَّذِينَ اصْطَفَاهُمْ رَبُّهُمْ وَاجْتَبَاهُمْ وَجَعَلَهُمْ وَرَثَةً لِتَبْلِيغِ تَعَالِيمِ الْإِسْلَامِ مُقْتَدِينَ فِي دَعْوَتِهِمْ وَخُلُقِهِمْ وَسُلُوكِهِمْ بِالْكِتَابِ الْعَظِيمِ وَخُلُقِ الرَّسُولِ الْكَرِيمِ ﷺ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥]، سُبْحَانَ اللهِ مَا أَجَلَّهَا مِنْ وَصِيَّةٍ وَمَا أَزْكَاهُ مِنْ تَوْجِيهٍ تَلَقَّاهُ الصَّادِقُ الْأَمِينُ عَلَيْهِ أَكْمَلُ الصَّلَاةِ وَأَتَمُّ التَّسْلِيمِ مِنْ رَبِّهِ أَرْحَمِ الرَّاحِمِينَ وَأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ، وَتَبِعَهُ عَلَى ذَلِكَ مَنْ دَعَا بِدَعْوَتِهِ حَقًّا وَصِدْقًا إِلَى يَوْمِنَا هَذَا وَإِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَقَالَ ﷺ: ﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

وَحَقًّا أَقُولُ - وَأَعُوذُ بِاللهِ مِنَ اللَّغْوِ فِي الْقَوْلِ -: إِنَّ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ لَبَيَانًا وَاضِحًا وَإِعْلَانًا صَارِخًا مَفَادُهُمَا: أَنَّ صَاحِبَ الدَّعْوَةِ إِلَى اللهِ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ عَلَى عِلْمٍ شَرْعِيٍّ وَبَيِّنَةٍ وَاضِحَةٍ نَيِّرَةٍ؛ قُدْوَتُهُ نَبِيُّهُ مُحَمَّدٌ ﷺ الْمُخَاطَبُ بِهَذِهِ الْآيَةِ الْفَذَّةِ وَأَمْثَالِهَا وَغَيْرِهَا، وَأُمَّتُهُ تَبَعٌ لَهُ فِي ذَلِكَ

حَذْوَ الْقُذَّةِ بِالْقُذَّةِ، وَبِالدَّرَجَةِ الْأُولَى صَفْوَةُ الْأُمَّةِ وَهُمْ أُولُو الْعِلْمِ وَالْبَصَائِرِ الَّذِينَ هُمْ لِأَهْلِ الْأَرْضِ فِي الدَّلَالَةِ عَلَى الْمَقْصُودِ وَالْخَيْرِ الْوَفِيرِ الْمَنْشُودِ كَنُجُومِ السَّمَاءِ فِي هِدَايَةِ الْمُسَافِرِينَ مِنْهُمْ وَالْمُقِيمِينَ.

وَقَالَ سُبْحَانَهُ فِي إِيضَاحِ شَأْنِ الدَّعْوَةِ وَالدَّاعِيَةِ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣]، فَيَا للهِ كَمْ فِيهَا مِنْ ثَنَاءٍ وَإِشَادَةٍ بِكُلِّ مَنْ دَعَا إِلَى اللهِ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ وَالْإِحْسَانِ يَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ وَيَخْشَى عُقُوبَتَهُ وَلَمْ يُخَالِفْ قَوْلُهُ عَمَلَهُ وَلَا سَرِيرَتُهُ عَلَانِيَتَهُ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ! هَذَا هُوَ مَنْهَجُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فِي دَعْوَةِ الْخَلْقِ إِلَى رِحَابِ الْحَقِّ وَتَبْلِيغِ رِسَالَةِ الْإِسْلَامِ إِلَى كَافَّةِ الْأَنَامِ، يَحْمِلُ هَذَا الْمَنْهَجُ فِي مَنْطُوقِهِ وَمَفَاهِيمِهِ وَمَضَامِينِهِ الرِّفْقَ وَاللِّينَ وَالْعَطْفَ وَالرَّحْمَةَ بِالْمَدْعُوِّينَ لِيُخْرِجَهُمْ مِنْ ذُلِّ الْمَعْصِيَةِ إِلَى عِزِّ الطَّاعَةِ، وَمِنْ مُوجِبَاتِ الْعَذَابِ إِلَى مُوجِبَاتِ الرَّحْمَةِ وَالرِّضْوَانِ مِنَ اللهِ الْكَرِيمِ الرَّحْمَنِ، خِلَافًا لِمَنْ سَلَكُوا مَسَالِكَ الْمُشَوِّهِينَ لِدَعْوَةِ الْإِسْلَامِ مِنْ قَتْلٍ لِلْأَبْرِيَاءِ وَتَفْجِيرٍ لِلْمُنْشَآتِ وَاعْتِدَاءٍ عَلَى الْحُرُمَاتِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ التَّصَرُّفَاتِ الَّتِي لَا تُقِرُّهَا الشَّرَائِعُ الَّتِي جَاءَ بِهَا الْكُمَّلُ مِنَ الدُّعَاةِ إِلَى اللهِ؛ الَّذِينَ أَمَرَهُمْ رَبُّهُمْ بِالْأُسْلُوبِ الرَّحِيمِ وَالْعَرْضِ الطَّيِّبِ الْفَهِيمِ، يَدْعُونَ أُنَاسًا مِنَ الْبَشَرِ قَدْ أَوْغَلُوا فِي الشُّرُورِ وَسَعَوْا فِي الْأَرْضِ فَسَادًا فِي الْبَرَارِي وَالْبُحُورِ، فَصَبَرُوا عَلَيْهِمْ وَاسْتَمَرُّوا فِي دَعْوَتِهِمْ كَمَا هُوَ مُوَضَّحٌ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَمَسْطُورٌ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ! لَقَدْ سَمِعْنَا وَسَمِعَ الْعَالَمُ كُلُّهُ مَا حَصَلَ فِي يَوْمِ

الْأَرْبِعَاءِ الْمَاضِي الْقَرِيبِ فِي مَدِينَةِ الرِّيَاضِ عَاصِمَةِ الْمَمْلَكَةِ الْعَرَبِيَّةِ السُّعُودِيَّةِ - حَرَسَهَا اللهُ مِنْ كُلِّ سُوءٍ وَمَكْرُوهٍ - مِنْ عَمَلٍ إِجْرَامِيٍّ أَلَا وَهُوَ التَّفْجِيرُ وَالتَّقْتِيلُ وَالتَّدْمِيرُ لِمَبْنَى الْإِدَارَةِ الْعَامَّةِ لِلْمُرُورِ وَمَا حَوْلَهَا مِنْ مَسَاكِنِ الْمُسْلِمِينَ الْآمِنِينَ وَالْمَارِّينَ فِي قَضَاءِ حَاجَاتِهِمْ، وَقَدْ ذَهَبَ ضَحِيَّتَهُ عَدَدٌ مِنَ الْقَتْلَى الْمَظْلُومِينَ مِنْ رِجَالِ الْأَمْنِ الْأَوْفِيَاءِ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ الْأَبْرِيَاءِ وَعَدَدٌ كَبِيرٌ مِنَ الْجَرْحَى السُّعُودِيِّينَ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ الْمُقِيمِينَ فِي هَذَا الْبَلَدِ الْمُسْلِمِ الْآمِنِ بِحِفْظِ اللهِ لَهُ ثُمَّ بِجُهُودِ وُلَاةِ الْأَمْرِ فِيهِ، قَامَتْ بِهَذَا الْعَمَلِ الْإِجْرَامِيِّ الْمَقِيتِ فِئَةٌ مُجْرِمَةٌ وَضَالَّةٌ عَنْ سَنَنِ الْحَقِّ وَخَارِجَةٌ عَنْ هَدْيِ الْمُرْسَلِينَ وَنَهْجِ عِبَادِ اللهِ الصَّالِحِينَ، هَذِهِ الْفِئَةُ الشَّاذَّةُ الضَّالَّةُ تَهْوَى الشَّرَّ وَالْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ بَلْ فِي خَيْرِ الْأَرْضِ: بِلَادِ الْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ أَرْضِ الْحُكْمِ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ وَإِقَامَةِ حُدُودِ اللهِ وَرِعَايَةِ شَعَائِرِ اللهِ، كَمَا تَهْوَى هَذِهِ الْفِئَةُ الضَّالَّةُ فَتْحَ أَبْوَابِ الْفِتَنِ وَالشِّقَاقِ وَالْعِنَادِ، فَهُمْ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً، وَلَا يَمْلِكُونَ رَحْمَةً لَا لِصَغِيرٍ وَلَا لِكَبِيرٍ وَلَا لِذَكَرٍ وَلَا لِأُنْثَى، وَلَا يَعْرِفُونَ حَقًّا لِعَالِمٍ كَمَا لَا يَعْرِفُونَ حَقًّا لِسُلْطَانِ اللهِ فِي الْأَرْضِ، بَلْ هُمْ سَابِحُونَ فِي طَاعَةِ الْهَوَى وَالشَّيْطَانِ وَفِي غَيِّهِمْ يَعْمَهُونَ، قَدْ تَوَاصَوْا بِالشَّرِّ وَاجْتَمَعُوا عَلَيْهِ؛ فَهُمْ لِخُطَطِهِ يُنَفِّذُونَ فَنَسْأَلُ اللهَ الْقَوِيَّ الْعَزِيزَ: أَنْ يَهْزِمَهُمْ وَيَرُدَّ كَيْدَهُمْ فِي نُحُورِهِمْ، وَأَنْ يَجْعَلَ تَدْبِيرَهُمْ تَدْمِيرًا لَهُمْ، وَأَنْ يُحِيطَ بِمَنْ يُوقِدُونَ نَارَ الْفِتَنِ وَيُؤَجِّجُونَهَا مِنْ وَرَاءِ الْجُدُرِ وَالْحُجُبِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ، أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ وَهُمُ الْخَاسِرُونَ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ! إِنَّ بِلَادَنَا الْحَبِيبَةَ هِيَ الْفَرِيدَةُ فِي احْتِضَانِ شَرْعِ اللهِ الْمُطَهَّرِ عَقِيدَةً وَعِبَادَةً وَمُعَامَلَةً وَدَعْوَةً وَجِهَادًا وَخُلُقًا وَسُلُوكًا، وَمَعَ

ذَلِكَ فَقَدِ اعْتَدَى عَلَيْهَا هَؤُلَاءِ الْمُعْتَدُونَ بِتَنْفِيذِ الْأَعْمَالِ الْإِجْرَامِيَّةِ الَّتِي سَبَقَ التَّنْوِيهُ عَنْهَا وَالنَّاسُ آمِنُونَ، وَتِلْكَ الْفِئَةُ الضَّالَّةُ تُخَطِّطُ التَّخْطِيطَ الرَّهِيبَ لِيُفْسِدُوا عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْبِلَادِ دِينَهُمْ وَدُنْيَاهُمْ وَشَبَابَهُمْ؛ تَنْفِيذًا لِتَوْجِيهَاتِ قَادَتِهِمْ مِنْ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ، وَاسْتِجَابَةً لِهَوَى النُّفُوسِ الْأَمَّارَةِ بِالسُّوءِ، وَإِصْغَاءً لِصَرْخَةِ الشَّيْطَانِ الَّذِي يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ. حَقًّا إِنَّ هَذَا الصَّنِيعَ الْفَوْضَوِيَّ الصَّادِرَ مِنَ الْفِئَةِ الضَّالَّةِ الْمُنْحَرِفَةِ لَا يَصْدُرُ إِلَّا مِمَّنْ قَلَّ دِينُهُمْ وَمُسِخَتْ فِطَرُهُمْ وَتَقَلَّصَ حَيَاؤُهُمْ وَرَكِبُوا مَتْنَ عَمْيَاءَ وَخَبَطُوا خَبْطَ عَشْوَاءَ فِي تَصَرُّفِهِمِ الْآثِمِ اللَّئِيمِ وَعَمَلِهِمِ الْإِجْرَامِيِّ الْمَشِينِ.

وَإِنَّنَا - أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ! - مِنْ هَذَا الْمَكَانِ وَمِنْ مَنْطِقَةِ الْجَنُوبِ وَمِنْ مَدِينَةِ صَامِطَةَ بِالذَّاتِ - بَلَدِ الْعِلْمِ وَالْعُلَمَاءِ وَالدَّعْوَةِ السَّلَفِيَّةِ السَّلِيمَةِ - لَنَسْتَنْكِرُ أَشَدَّ الْاسْتِنْكَارِ وَنَرْفُضُ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا مَا أَقْدَمَ عَلَيْهِ أُولَئِكَ الْمُفْسِدُونَ الَّذِينَ أَحْيَوْا بِدْعَةَ الْخَوَارِجِ الَّذِينَ وَصَفَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِأَخْطَرِ الْأَوْصَافِ حَيْثُ قَالَ فِيهِمْ: «**إِنَّهُمْ كِلَابُ النَّارِ**»[1] وَقَالَ فِيهِمْ: «**يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ [ثُمَّ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ]**»[2] وَقَالَ فِيهِمْ: «**كُلَّمَا طَلَعَ قَرْنٌ قَطَعَهُ**

(١) سبق تخريجه ص(٢٠).

(٢) أخرجه بلفظه البخاري في [«صحيحه» كتاب التوحيد باب قراءةِ الفاجر والمنافق، وأصواتُهم وتلاوتُهم لا تجاوز حناجرهم برقم (٧٥٦٢)] من حديث أبي سعيد الخدري ﵁، لكنه قال: «... ثُمَّ لَا يَعُودُونَ فيه حتى يرجع السهم إلى فُوقِه».

وورد بلفظه من حديث أبي ذر ورافع بن عمرو الغفاريين ﵄ مرفوعًا قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ بَعْدِي مِنْ أُمَّتِي قَوْمًا يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لا يُجَاوِزُ حَلاقِيمَهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَخْرُجُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ ثُمَّ لا يَعُودُونَ إِلَيْهِ شَرُّ الْخَلْقِ وَالْخَلِيقَةِ». رواه أحمد: ٥/ ٣١ (٢٠٦٠٧ و٢٠٦٠٨ و٢٠٦١٢ و٢٠٦١٣) ومسلم: كتاب الزكاة، باب: الْخَوَارِجُ شَرُّ الْخَلْقِ وَالْخَلِيقَةِ، رقم=

اللهُ»[1] وَبَشَّرَ ﷺ مَنْ قَتَلُوهُ أَوْ قَتَلَهُمْ بِالْأَجْرِ الْعَظِيمِ وَالْخَيْرِ الْعَمِيمِ فَقَالَ ﷺ: «**طُوبَى لِمَنْ قَتَلُوهُ وَطُوبَى لِمَنْ قَتَلَهُمْ**»[2].

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ! وَلِمُدَّةِ عَامٍ تَقْرِيبًا تَوَاصَلَتْ هَجَمَاتُهُمْ وَتَنَوَّعَ فَسَادُهُمْ وَتَعَدَّدَتْ الْمَوَاقِعُ الَّتِي نَفَّذُوا فِيهَا عَمَلِيَّاتِ التَّقْتِيلِ وَالتَّدْمِيرِ وَالْإِجْرَامِ، إِذْ مَا تَرَكُوا مَنْطِقَةً مِنْ مَنَاطِقِ الْمَمْلَكَةِ الْعَرَبِيَّةِ السُّعُودِيَّةِ إِلَّا قَامُوا فِيهَا بِالْفَسَادِ مِنْ قَتْلٍ لِلْأَبْرِيَاءِ وَتَرْوِيعٍ لِلْآمِنِينَ بِدُونِ مُسَوِّغٍ مِنْ عَقْلٍ أَوْ دَلِيلٍ مِنْ نَقْلٍ، لِهَذَا فَإِنَّهُ لَا يَجُوزُ لِأَحَدٍ مِنَ الْخَلْقِ أَنْ يَعْتَذِرَ لِهَؤُلَاءِ السُّفَهَاءِ الَّذِينَ قَدْ جَرَى عَلَيْهِمْ قَلَمُ التَّكْلِيفِ، كَمَا لَا يَجُوزُ لِأَحَدٍ أَنْ يُحَسِّنَ بِهِمُ الظَّنَّ أَوْ يَتَسَتَّرَ عَلَى جَرَائِمِهِمْ لِيُظْهِرُوا فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ بِدُونِ خَوْفٍ مِنَ اللهِ وَلَا رَحْمَةٍ بِعِبَادِ اللهِ، وَإِنَّ اللهَ لَهُمْ وَلِقَادَتِهِمْ وَمُنَظِّرِيهِمْ لَبِالْمِرْصَادِ كَمَا قَالَ ﷻ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ [إبراهيم: ٤٢].

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ الْعُقَلَاءُ الْأَوْفِيَاءُ! إِنَّ هَذِهِ الْفِئَةَ الضَّالَّةَ قَدْ سَبَقَ مِنْهَا مِنْ عَمَلِ الْفَسَادِ تَفْجِيرٌ فِي حَرَمِ اللهِ الْآمِنِ وَفِي مَوَاطِنَ مُتَعَدِّدَةٍ فِي الرِّيَاضِ عَاصِمَةِ الْمَمْلَكَةِ الْعَرَبِيَّةِ السُّعُودِيَّةِ وَفِي الْمَنْطِقَةِ الشَّرْقِيَّةِ وَغَيْرِهَا مِنَ الْمَنَاطِقِ وَكَانَ الْفَشَلُ حَلِيفَهُمْ فِي كُلِّ ذَلِكَ، وَكَمْ مِنْ مَوْعِظَةٍ قَدْ وُجِّهَتْ لَهُمْ فَلَمْ تَنْفَعْهُمُ الْمَوَاعِظُ وَكَمْ مِنْ نِدَاءَاتٍ عَبْرَ وَسَائِلِ الْإِعْلَامِ وَغَيْرِهَا أُرْسِلَتْ إِلَيْهِمْ فَلَمْ تُجْدِ فِيهِمْ، وَصَدَقَ اللهُ عَزَّ شَأْنُهُ إِذْ قَالَ:

= (١٠٦٧) وغيرهما، واللفظ لأحمد في الرواية الثانية.

(١) سبق تخريجه ص(٢٧).

(٢) سبق تخريجه ص(٢١).

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦].

عِبَادَ اللهِ! إِنَّ هَذِهِ الْفِئَةَ الَّتِي اسْتَهْدَفَتِ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُعَاهِدِينَ وَالْمُسْتَأْمَنِينَ فِي هَذِهِ الْبِلَادِ عُمُومًا وَرِجَالِ الْأَمْنِ الْبَوَاسِلِ خُصُوصًا مَا أَقْدَمُوا عَلَى التَّقْتِيلِ وَالتَّدْمِيرِ إِلَّا بَعْدَ أَنْ حَكَمُوا بِالْكُفْرِ عَلَى الْحُكَّامِ وَالْمَحْكُومِينَ وَالْعُلَمَاءِ وَالْمُتَعَلِّمِينَ، وَكُلُّهُمْ مِنْ فَصِيلَةٍ وَاحِدَةٍ انْطَلَقُوا وَيَنْطَلِقُونَ لِتَحْقِيقِ غَايَةٍ وَاحِدَةٍ أَلَا وَهِيَ تَغْيِيرُ نِعْمَةِ الدِّينِ وَالدُّنْيَا الَّتِي يَنْعَمُ بِهَا أَهْلُ هَذِهِ الْبِلَادِ الْمَمْلَكَةِ الْعَرَبِيَّةِ السُّعُودِيَّةِ: أَرْضِ الْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ وَبِلَادِ الْعُلَمَاءِ الرَّبَّانِيِّينَ وَالْحُكَّامِ الصَّالِحِينَ الْمُصْلِحِينَ الَّذِينَ نَذَرُوا نُفُوسَهُمْ لِخِدْمَةِ شَرِيعَةِ الْإِسْلَامِ وَرَفْعِ شَأْنِهَا وَاحْتِرَامِ أَحْكَامِهَا مَعَ رَحْمَةِ كُلِّ مُوَاطِنٍ عَلَى أَرْضِ هَذَا الْوَطَنِ، وَلَيْسَ هَذَا فَحَسْبُ بَلْ وَلَهُمْ جُهُودٌ جَلِيلَةٌ فِي شَتَّى بِقَاعِ الْعَالَمِ الْإِنْسَانِيِّ بِكُلِّ طَرِيقٍ مِنْ طُرُقِ الدَّعْوَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ الصَّحِيحَةِ وَالْجِهَادِ الْإِسْلَامِيِّ الْحَكِيمِ.

حَقًّا وَيَقِينًا - وَمَعَاذَ اللهِ مِنَ التَّخَرُّصِ! : إِنَّهُ يَنْطَبِقُ عَلَى أُولَئِكَ الْجُنَاةِ «النَّارُ تَأْكُلُ نَفْسَهَا إِنْ لَمْ تَجِدْ مَا تَأْكُلُهُ»، لَقَدِ امْتَلَأَتْ قُلُوبُهُمْ فَسَادًا وَحَسَدًا وَحِقْدًا؛ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ، وَضَلَّتْ عُقُولُهُمْ، وَسَاءَتْ نِيَّاتُهُمْ، وَقَبُحَتْ أَعْمَالُهُمْ وَأَفْعَالُهُمْ، فَاعْتَبَرُوا مَا أَقْدَمُوا عَلَيْهِ جِهَادًا وَتَضْحِيَةً وَرُجُولَةً وَمَا هُوَ فِي وَاقِعِ الْأَمْرِ إِلَّا غَدْرٌ وَنَكْثٌ وَخِيَانَةٌ، بَلْ وَمُشَاقَّةٌ للهِ ﷻ وَلِرَسُولِهِ ﷺ، وَافْتِيَاتٌ عَلَى مَنْ جَعَلَ اللهُ طَاعَتَهُمْ عَلَيْنَا وَاجِبَةً، وَوَلَايَتَهُمْ عَلَيْنَا رَحْمَةً، وَالتَّعَاوُنَ مَعَهُمْ فِي كُلِّ بِرٍّ وَصَلَاحٍ فَرْضًا مُحَتَّمًا، وَالدُّعَاءَ لَهُمْ بِمَا يُصْلِحُ شَأْنَهُمْ حَقًّا وَاجِبًا، وَلَكِنَّ هُوَاةَ

الإِجْرَامِ لَا يَعْلَمُونَ وَطَرِيقَ الْحَقِّ لَا يُبْصِرُونَ:

خَفَافِيشُ أَعْمَاهَا النَّهَارُ بِضَوْئِهِ ... وَأَبْصَرَهَا قِطَعٌ مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمُ

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ! إِنَّهُ يَجِبُ عَلَيْنَا - وَبِدُونِ اسْتِثْنَاءٍ - أَنْ نَعْتَبِرَ أَنْفُسَنَا رِجَالَ أَمْنٍ فِي هَذِهِ الْبِلَادِ الَّتِي عَلَمُهَا «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ»، وَالَّتِي تُحَكِّمُ شَرِيعَةَ اللهِ فِي أَرْضِ اللهِ.

نَعَمْ.. إِنَّنِي أُنَادِي وَأُكَرِّرُ النِّدَاءَ لِكُلِّ مُوَاطِنٍ عَاقِلٍ أَنْ يَكُونَ رَجُلَ أَمْنٍ، وَعَيْنًا سَاهِرَةً تَتَصَيَّدُ أَهْلَ الشَّرِّ وَالْعَبَثِ وَالْفَسَادِ، وَمِنْ ثَمَّ تَسْلِيمُهُمْ إِلَى أَقْرَبِ مَرْفَقٍ مِنْ مَرَافِقِ السُّلْطَةِ وَالْعَدْلِ فِي هَذِهِ الْبِلَادِ الْعَزِيزَةِ ذَاتِ الْأَطْرَافِ الْمُتَبَاعِدَةِ؛ لِيُحَكَّمَ فِيهِمْ شَرْعُ اللهِ وَيُنَفَّذَ فِيهِمُ الْحَقُّ الَّذِي عَرَفَتْهُ هَذِهِ الْبِلَادُ مِنْ قُرُونٍ مَدِيدَةٍ وَأَحَبَّتْهُ وَعَاشَتْ فِي ظِلِّهِ وَلَمْ تَرْضَ بِهِ بَدِيلًا، بَلْ بَذَلَتْ فِي سَبِيلِهِ النَّفْسَ وَالنَّفِيسَ وَالْغَالِيَ وَالرَّخِيصَ مُنْذُ أَنْ تَوَحَّدَتْ هَذِهِ الْجَزِيرَةُ الْعَرَبِيَّةُ عَلَى يَدِ الْإِمَامِ الْمُوَحِّدِ الْمُجَدِّدِ الْعَادِلِ عَبْدِالْعَزِيزِ بْنِ عَبْدِالرَّحْمَنِ الْفَيْصَلِ آلِ سُعُودٍ - رَحِمَهُ اللهُ وَطَيَّبَ ثَرَاهُ - وَمَشَى عَلَى أَثَرِهِ أَبْنَاؤُهُ الْكِرَامُ الَّذِينَ جَعَلَهُمُ اللهُ رَحْمَةً وَأَئِمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَيَدْعُونَ إِلَيْهِ جَمِيعَ الْأَنَامِ لَا يَطْلُبُونَ الْأَجْرَ وَالْجَزَاءَ إِلَّا مِنَ اللهِ الْمَلِكِ الْعَلَّامِ.

حَقًّا إِنَّ الْمُسْلِمَ لَيَعْجَبُ مِنَ الْمَصَائِبِ ذَاتِ الْعَجَبِ وَالَّتِي مِنْهَا قَضِيَّةُ التَّفْجِيرِ الَّتِي تَمَّتْ فِي مَدِينَةِ الرِّيَاضِ مُؤَخَّرًا؛ حَيْثُ سُفِكَتْ دِمَاءُ الْأَبْرِيَاءِ مِنْ مُسْلِمِينَ وَمُسْتَأْمَنِينَ، وَرُوِّعَ الْآمِنُونَ فِي هَذِهِ الْبِلَادِ مِنْ أَقْصَاهَا إِلَى أَقْصَاهَا، وَاسْتَنْكَرَ الْحَدَثَ الْمَشْئُومَ الصَّغِيرُ وَالْكَبِيرُ وَالذَّكَرُ وَالْأُنْثَى فَإِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ.

وَأَخِيرًا: فَإِنَّنِي لَأَتَسَاءَلُ مَاذَا يُرِيدُ هَؤُلَاءِ وَقَادَتُهُمْ وَمُنَظِّرُوهُمْ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْفَسَادِ وَالْعَبَثِ، أَيُرِيدُونَ أَنْ تَسُودَ الْفَوْضَى مَحَلَّ الْأَمْنِ وَالْأَمَانِ؟ أَيُرِيدُونَ أَنْ تَعُودَ الْجَاهِلِيَّةُ الَّتِي طَهَّرَ اللهُ مِنْهَا هَذِهِ الْبِلَادَ بِفَضْلِهِ ثُمَّ بِجُهُودِ الْعُلَمَاءِ الرَّبَّانِيِّينَ وَالْحُكَّامِ الْمُخْلِصِينَ؟

أَمْ يُرِيدُونَ تَحْطِيمَ الْقُوَّةِ الْحِسِّيَّةِ وَالْمَعْنَوِيَّةِ مَعًا حَتَّى تُصْبِحَ بِلَادُنَا لُقْمَةً سَائِغَةً لِأَعْدَاءِ اللهِ الَّذِينَ يُشْعِلُونَ نَارَ الْفِتْنَةِ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ؟

أَمْ يُرِيدُونَ أَنْ تُقْفَلَ دُورُ الْعِلْمِ وَجَامِعَاتُهُ الَّتِي لَمْ يَعْرِفْهَا آبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ فِي هَذِهِ الْجَزِيرَةِ حَتَّى وَضَعَ بَذَرَاتِهَا وَحِجَارَ أَسَاسِهَا الْإِمَامُ الْمُبَجَّلُ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِالرَّحْمَنِ الْفَيْصَلِ آل سُعُودٍ وَأَكْمَلَ الْبِنَاءَ شَيْئًا فَشَيْئًا أَبْنَاؤُهُ الْكِرَامُ احْتِسَابًا لِوَجْهِ اللهِ وَحُسْنَ رِعَايَةٍ لِمَنْ تَحْتَ أَيْدِيهِمْ بَلْ وَلِغَيْرِهِمْ مِنْ عِبَادِ اللهِ؟

نَعَمْ يُرِيدُونَ كُلَّ ذَلِكَ، وَيُرِيدُونَ مِنَ الشَّرِّ مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ: يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْجُبَنَاءُ الْحَاقِدُونَ الْحَاسِدُونَ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ الْعُقَلَاءُ الْأَوْفِيَاءُ! إِنَّ نِيرَانَ الْفِتْنَةِ إِذَا شَبَّتْ عَمَّ بَلَاؤُهَا، وَعِنْدَئِذٍ يَجِبُ عَلَى الْأُمَّةِ الْمُبْتَلَاةِ أَنْ تَلْجَأَ إِلَى اللهِ بِصِدْقٍ فِي التَّوْبَةِ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ وَصَرِيحِ الْإِنَابَةِ بِكُلِّ عَزْمٍ، وَأَنْ تُجَدِّدَ الِاسْتِقَامَةَ عَلَى الْحَقِّ؛ الَّتِي بِهَا يَتَحَقَّقُ خَيْرُ الدُّنْيَا وَسَعَادَةُ الْآخِرَةِ وَبِتَحْقِيقِهَا تَنْدَفِعُ الشُّرُورُ الَّتِي مَنْ أَحَاطَتْ بِهِ أَوْرَدَتْهُ مَوَارِدَ الْهَلَاكِ وَسَلَكَتْ بِهِ مَسَالِكَ الْهُونِ وَالْعَطَبِ، كَمَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونُوا يَدًا وَاحِدَةً وَقَلْبًا وَاحِدًا فِي الْقِيَامِ بِالْأَسْبَابِ فِي إِطْفَائِهَا وَذَلِكَ بِمُلَاحَقَةِ أَهْلِ الْفَسَادِ حَتَّى يُؤْخَذَ عَلَى

أَيْدِيهِمْ بِالْحَقِّ وَيَذُوقُوا مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى مَا يُحَطِّمُ أَفْكَارَهُمْ وَيُدْحِضُ نَوَايَاهُمْ وَيُشَتِّتُ شَمْلَهُمْ وَيُبْطِلَ كَيْدَهُمْ، وَثِقُوا أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ! أَنَّ اللهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ وَلَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا صَالِحِينَ مُصْلِحِينَ، وَبِشَرْعِكَ عَامِلِينَ، وَلِنَبِيِّكَ مُتَّبِعِينَ، وَلِوُلَاةِ أُمُورِنَا نَاصِحِينَ، وَلِأَوَامِرِهِمْ فِي الْمَعْرُوفِ مُنَفِّذِينَ، وَلَهُمْ مُحِبِّينَ، وَفِي الْوَلَاءِ لَهُمْ فِي الْحَقِّ وَالْبِرِّ صَادِقِينَ، وَانْصُرْنَا جَمِيعًا عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ وَإِنْ تَسَمَّوْا بِاسْمِ الدَّعْوَةِ وَالدِّينِ.

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ لِي وَلَكُمْ وَلِسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ، فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

زيد بن محمد بن هادي المدخلي
إمام وخطيب جامع المكتبة السلفية الخيرية
في محافظة صامطة

* * *

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كلمة فضيلة الشيخ/زيد بن محمد بن هادي المدخلي
درس يوم الخميس بعد الظهر الموافق: ١٤٢٥/٣/٣هـ
في جامع المكتبة السلفية الخيرية في صامطة، حيث قال:

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فأولًا قبل الدخول في الدرس أعزّي كل مسلم ومسلمة ومؤمن ومؤمنة فيمن قتلوا ظلمًا من قبل طائفة الإجرام الطائفة الضالة التي كفّرت المسلمين حكّامًا ومحكومين وعلماء ومتعلّمين؛ فاستحلّوا الدماء، وخرّبوا الديار، وهتكوا الستر، ودمّروا الأموال بدون مسوّغ من عقل أو شرع، نعم.. هذا هو الواقع، قتلوا وسفكوا الدماء: دماء من يؤمنون بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ رسولًا.

ونعزّي - على سبيل الخصوص - وُلَاة الأمور جميعًا، وعلى رأسهم: خادمُ الحرمين الشريفين ووليُّ عهده الأمين والنائبُ الثاني ووزيرُ الداخلية، وطلّابَ العلم القائمين على الإسلام والسنة، السالكين نهج السلف الصالح؛ لأنهم هم الذين يتألّمون كثيرًا ويؤمنون بقول النبيّ ﷺ: **«لَزَوَالُ الدُّنْيَا بِأَسْرِهَا أَهْوَنُ عَلَى اللهِ مِنْ قَتْلِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ»**(١).

(١) رواه الترمذي: الديات، باب مَا جَاءَ فِي تَشْدِيدِ قَتْلِ الْمُؤْمِنِ؛ برقم (١٣٩٥) والنسائي: =

فكم من المسلمين قتل هؤلاء المفسدون الأشرار في خلال أعوام كثيرة متوالية لا تقلّ عن ثمانية أعوام في الرياض وفي الشرقية وفي الحرم المكي بجوار الكعبة وفي كلّ منطقة من مناطق المملكة العربية السعودية، لهم الأثر السيّئ من سفك الدم وتدمير الأموال وترويع الآمنين، حتى أصبح وأمسى الناس يخافون من سطوة هؤلاء الظالمين. والحقيقة أن العبد المؤمن الذي حقّق إيمانه متوكّل على للّه، ويؤمن أنّ لكل أجل كتابًا، وأنّ من مات مات بأجله؛ فإنّ الأجل لا يتقدّم ولا يتأخّر: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤].

لكن هؤلاء الضلال سلكوا سبيل الظالمين المفسدين؛ فلم يرقبوا في مؤمن إلًّا ولا ذمة، ولذلك فقد فعلوا من الإجرام ما فعلوا، وخرجوا على دولة الإسلام بالكلمة السيّئة والسلاح الفتّاك، وشوّهوا سمعة الإسلام عند أعدائه، قاتلهم اللّه أنّى يؤفكون.

حقًّا لقد اقترفوا جرائم متعدّدة ومتنوّعة ظلمات بعضها فوق بعض، لذا ينبغي أن يحدِّد المؤمن موقفه منهم، فلا يجوز لأحد أن يلتمسَ لهم الأعذار، ولا يسوِّغَ ما فعلوا، ولا يحسِّنَ بهم الظن، بل هم قتلة سفّاكون للدماء، وقد زادوا أيضًا على الخوارج الأوائل بكونهم يقتلون

= تحريم الدم، تعظيم الدم؛ برقم (٣٩٨٧)، من حديث عبد اللّه بن عمرو ﷺ. وصححه الألباني في «صحيح الجامع»[(٢/ ٩٠٥) رقم (٥٠٧٧)]. وابن ماجه: الديات، باب التَّغْلِيظِ فِي قَتْلِ مُسْلِمٍ ظُلْمًا؛ برقم (٢٦١٩)، من حديث البراء بن عازب ﷺ. وهو في «صحيح الجامع»[(٢/ ٩٠٥) رقم(٥٠٧٨)].

أنفسهم، يبدؤون بقتل أنفسهم ثم يتعدّى فعلهم هذا إلى الآخرين ظلمًا وعدوانًا، وهو خيرٌ للآخرين الذين يُقتلَون ظلمًا وعدوانًا، وهم مقيمون على طاعة اللّه وطاعة رسوله وطاعة وليّ الأمر المسلم في المعروف؛ لهم الأجر ولهم الخير الكثير، وينبغي أن ندعو لهم دائمًا وأبدًا بالمغفرة والرحمة، وكذلك يدعى لكلّ حارس لعقيدته وللمسلمين وللوطن المسلم الآمن بفضل اللّه ثم بجهود قيادتنا الرشيدة أعزّها بالإسلام وأعزّ الإسلام بها، ثم بجهود رجال الأمن الأوفياء وغيرهم ممن يهمّه شأن الإسلام والمسلمين، يدعى للجميع دائمًا وأبدًا بالثبات والتوفيق والسداد على القيام بواجبهم حتى يأتيهم من ربهم اليقين.

وأما - هؤلاء الخوارج - فقد ثبت أن النبيّ ﷺ قال عنهم: «**كُلَّمَا طَلَعَ قَرْنٌ قَطَعَهُ اللّهُ**»(١)، فهذا قرن كبير واسع الأطراف ملك الأسلحة الفتّاكة التي لم يسبق لأحد من شكلهم أن ملكها، والنهاية بحول اللّه هي النصر عليهم، والعاقبة للتقوى ﴿وما النصر إلا من عند اللّه العزيز الحكيم﴾.

* * *

(١) سبق تخريجه (ص٢٧)

الفهرس

* * *